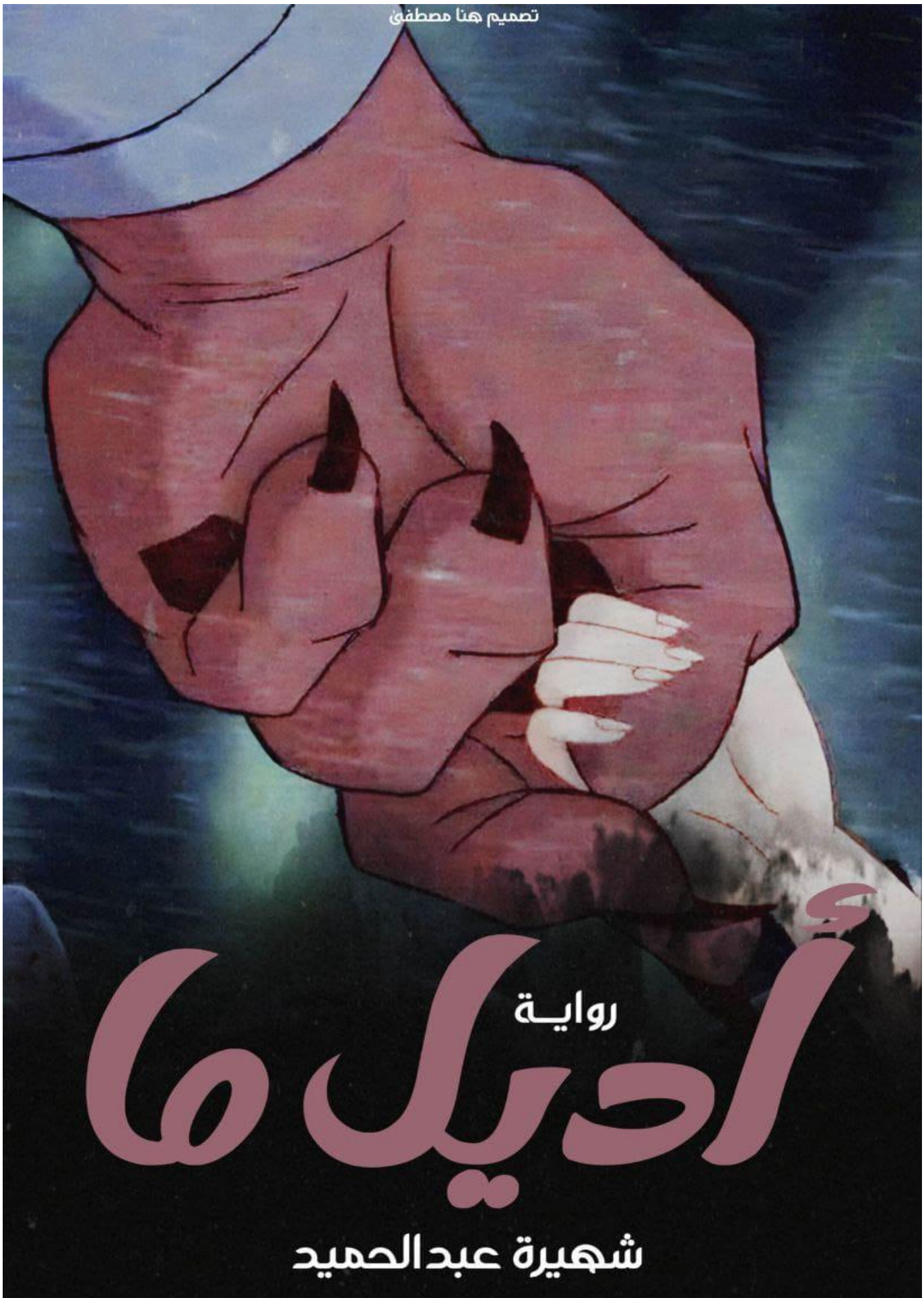

رواية

أُحيك ما

شهيرة عبدالحميد

" أديل ما "

هذه الرواية من تأليف الكاتبة الصاعدة " شهيرة عبد الحميد " والتي أشاد بها الكثير من القراء داخل مواقع النشرالإلكترونية ولاقت بينهم رواجاً كبيراً.

صدر لها إلكترونيا ثلاث أعمال :-
*** أديل ما**
*** آشري ما (الجزء الثاني من أديل ما)**
*** لعنة مصر القديمة**

جميع الحقوق محفوظة لجروب رشحلي رواية

دمتم قارئون

إهـــــداء

إلى أمي ,صاحبة الرسالة والمقام, والقلم, ورفيقتي وخليلتي .

أعزائي القراء الكرام :-

أعتذر بشدة إذا تسببتُ في حزنكم؛ في سطوري، لكني أعدكم أن النهاية حتمًا ستكون جميلة مثلكم.

" جزيرة الهلاك "

في مكان بعيد .. بل بعيدٌ بعيد, كُل البعد عن البشر,الضوضاء, جزيرة كبيرة تتوسط البحر خالية تمامًا من السكان، تحيط الجزيرة أشجارًا مرتفعة ذات أوراق غليظة ليست كعادة الأشجار، لا يوجد بها مباني غير كهف كـبـير مظلم لا أحد يعلم ما بداخله، وعلى حوافهُ أكواخ علي شكل هرمي متتالية مفرغة، بلون الخشب الطبيعي، لم تبدو الجزيرة مخيفة من الداخل أبدًا، بل تبدو كقطعة فنية مميزة، ولكن ما يحدث لكل من يحاول دخولها هو ما تسبب في هجرها تمامًا.

هذه الجزيرة الغامضة، التي حاول الكثير كشف أسرارها؛ ولكن لم يدخلها بشري إلا وقد عاد جثة هامدة على شاطئها بعد مرور أيام من انقطاع أخبارهُ، ولم يعد منها أحداً ليحكي لمن خلفه عما رأى أو سمع , وهكذا, بل ولم يجرؤ أحداً على كشف سرها من جديد؛ ولهذا سميت الشواطيء المحيطة بالجزيرة " بالشواطيء السوداء "، واطلقوا على الجزيرة نفسها "جزيرة الهلاك "

****

مع شروق شمس يوم جديد بينما تغوص بطلتنا القوية الرقيقة في أحلامها المليئة بالمغامرات، تلك الأنثى الفاتنة الشهيرة باكتشافها للأماكن الغامضة والجديدة ورحلاتها المختلفة بجميع أنحاء العالم منذ الصغر.

لم تكن تلك الأنثى سوي (ليا) ، الفتاة ذات الأربعة وعشرون عاماً، ذات الملامح الطفولية البريئة، لون عيناها كتداخل ألوان الأشجار ببعضها، وكأن الطبيعة وسَمتها بسِمة لتميزها عمن سواها.

وهي فتاة بسيطة ووحيدة أيضًا, سافر والديها وتركوها لتعيش وتكبر مع جدها منذ المهد، وبفطرتها عن والديها الراحلين وحبها للاستكشاف والسفر قضت عمرها في البحث واكتساب المهارات والخبرات المختلفة.

ليتوفى جدها ويترك لها أكبر وأشهر دار رعاية أطفال بمسؤوليتها، وذلك ما يدفعها للعودة لبلدها بعد كل رحلة للإطمئنان على أطفال الدار المتعلقين بها، وإدارة الشؤون الخاصة بدار الأيتام.

وفي إحدى رحلاتها جمعتها الحياة بشريك حياتها المثالي، والذي رأت به حُب المغامرة والحياة مثلها؛ (غيث) ، صاحب الثلاثون عامًا، والذي له مكانتهُ الخاصة بالقوات المسلحة؛ لكنهُ يهوى الاستكشاف مثلها، وهذه هي نقطة إلتقائهما الأساسية.

وسريعًا ودون إهدار وقت كبير تم عقد قرانهما منذ ثلاثة أشهر؛ ليستكملون سويًا رحلات البحث معاً بشكل مختلف أكثر حماسًا عما قد مضى.

أقاموا ببيت جدها الراحل؛ لشدة تعلقها بالمكان وذكرياتها الموجودة به، بينما يتكون المنزل من طابقين فقط، وما يميزه أكثر أنه لم يبعد كثيرًا عن دار الرعاية الخاص بها، ويقترب أيضًا من عمل غيث.

بينما تغوص (ليا) في أحلامها، والتي كانت تحلم بأنها تقف بساحة كبيرة جدًا مليئة بالاشجار والنخل المحيط بها من كل الاتجاهات، ممسكة برُمح القتال في تربص ، وتسمع بعض الهمسات فترتجل يميناً ويساراً ، ولكن لم ترى شيئاً سوي إهتزازات الأشجار من نسمات الهواء ، فأخذت نفساً عميقاً ، وقررت أن ترخي أعصابها لتستريح على جزع شجرة عملاقة خلفها ، وبينما هي تتنهد وتغمض عيناها ، شعرت بشئ ناعم يمرعلى وجهها ، انتفضت صارخة في الحال لترى (غيث) يجلس أمامها ، ممسك بوردة حمراء في يده ، وفي حالة من الصدمة كأنه إرتكب مصيبة في الحال.

أدركت أن زوجها كان يريد لها صباح رومانسي نوعاً ما ، ويوقظها بالوردة علي وجهها ، ولكنها دمجت الفعل بالحُلم، وأفسدت عليه تلك اللحظة اللطيفة

نظرت لهُ (ليا) ، نظرة حادة في البداية ،ثم بدءت تدرك الموقف ، وأخذت تضحك بهيستيرية ، وهو ما زال ينظر لها بصدمة لجنونها ، فعانقته (ليا) ، وهي تستكمل نومها ودفئها على صدره معتذرة له قائلة :-

ـ معذرة يا (غيثي) ، لقد كنت أحلم بأنني في مغامرة جديدة ، وكنت خائفة جداً، وعندما ايقظتني تداخلت لي اللمسة في حُلمي ، لم أقصد إفساد صباحك أبداً, ثم طأطأت رأسها في حزن ممزوج بالخجل .

: إبتسم وهو يحرك أنامله على شعرها الناعم غيرالمرتب، قائلاً بصوت حنون

لا بأس يا عزيزتي

االاه لو أنكِ تعشقيني مثل عشقك للمغامرات ثم تنهد في لطف

ابتسمت لهُ، وهي ترفع عيناها وأراحت يداها على عنقه وقالت بصوت مملوء بالكسل والخمول

ـ أنتَ المغامرة الأبدية يا (غيثي) ، التي لا أريد أن أنتهي منها إلى الأبد.
تبسم من كلماتها التي أثارت عاطفته أكثر تجاهها ورد بكل حب :-

آآآآه منكِ.. دائماً قادرة على سلب قلبي هكذا ، ولهذا فلدي خبراً أعلم أنهُ سيسعدك كثيراً.

إنتبهت لهُ ف فرحة عارمة ، وهي تقول معهُ في نفس اللحظة " إكتشاااااف جديد "وسط بريق عينيها ولمعتهما من طرب ما سمعت.

****

" الجزيرة "

يخيم الظلام على أنحاء الجزيرة الغامضة ، إلا غرفة واحدة داخل الكهف ، وهي التي يوجد بها الكثير ، الكثير من الصخب ، الضوضاء ، ولكن ليست بالأصوات المسموعة ،ولكنه بداخلهُ هو وحده.

هذا الجسد العملاق داكن اللون ، قبيحُ الملامح ، بشفاهُ الغليظة السوداء وشعرهُ الأشعث ، ولحية كبيرة تصل لعنقه ، تكوينهُ مثل تكوين الإنسان تماماً ، لكن حجمهُ يضاعف المئة بشري وأكثر ، يرتدي جلبابُ طويل من اللون الأسود ، من يراهُ يظن أنهُ أحد ملوك الجان ، علي عكس ما يُضمر داخله.

..

يرقد في غرفة تملؤها الفوضى ، وترتمي ف كل مكان من حولهُ زجاجات الخمور التي يصنعها بنفسه من ثمار الجزيرة العنب والتمر وغيرهما ، ويبدو عليه أنه ليس في وعيه.

عيناه متسلطتان علي شئ رفيع يقف ف بداية النافذة ، وهو أشبه ما يكون بما يُعرف عندنا بالميكروسكوب وهو خاص به, وبصوت عالي إهتزت له أركان الكهف ، بل وبزئيره كالأسد, معلناً عن غضب مكتوم داخله ، وظل يزأر حتي سقط في غرفتهُ الواسعة ، ليغوص في نومه في ثبات ، وكأن شيئاً لم يكن.

" المطار"

لم أكن أتوقع هذه المفاجأة اللطيفة من (غيث) ، حينما أخبرني أنهّ اكتشف مكان يُلقب " بالشواطئ السوداء " والذي أثار فضولي غسمها كثيراً ، وهي تقع بعد مسافة بعيدة ، تأخذ يومان أو أكثر ، وذلك المكان حقاً لم أسمع عنه من قبل ، وهذا ما أثار حماسي أن لدينا رحلة طويلة تستغرق أيام للوصول ، ولأول مرة بعد زواجنا ستكون هذه أول مغامرة لنا سوياً " وما دفئُ الأشياء حين نفعلها إلا مع من نحب "

لاحت لي هذه الخاطرة في رأسي ، وأنا أستند بها على غيث الذي يجاورني في الطائرة ، كم من الممتع أن بعد كل تلك السنين الطويلة من الوحدة ، والسفر ، أن أشعر وكأن خُلق لي روح أخرى من روحي ، غيثاً لي ، يجاورني طوال حياتي, لا يفارقني , كظلي, يتبعني أينما ذهبت.

نتقاسم معاً الحزن ، والفرح ، والشغف ، والفقد ، والطفولة ، حتي الشيب ، وكل تجعيدة وخط يرتسم علي ملامحي ، وملامحهُ ، يحفظني ، وأحفظهُ أكثر من أي شئ كان.

أغمضت عيني ، براحة كبيرة لم أستشعرها من ذي قبل ، وكأن كتفهُ لم يكن من ضلوع فقط ، فهو قطعة من الجنة تشعرني بالأمان والاستقرار.

مرت علينا ثلاث ليالِ حتي وصلنا إلي فندق منعزل لنستريح به ، حتي نستكمل رحلتنا الاستكشافية.

من بداية وصولنا لهذا الفندق ، الذي يقع موقعهُ داخل رقعة كبيرة من الغابات المليئة بالأشجار الكثيفة ، لاحظت عدم وجود الكثير من الناس بالداخل ، حتي أن الإضاءات خافتة جداً ، وعندما سألت أحد العاملين هناك قال لي :-

ـ هذه الأماكن لم يزورها الكثير من الناس ، وبعيدة عن عيون البشر ، وكل مَن يأتون الي هنا هاربون من شئ ما ، الهارب من الشهرة ، مثل الفنانين ، والهارب من السُلطة ، والأعين, مثل الوزراء ومشاهير هوليود ,وهكذا من جميع أنحاء العالم ، فهذا المكان يعني الإنعزال بالنسبة لهم عن العالم الخارجي ، وأيضاً مستكشفين ، ومحبين للطبيعة مثلك ..أثارني كلام العامل أكثر وأكثر ، وبث داخلي روح المغامرة لاستكشاف كل ركن ، بهذه الجزيرة المنعزلة.

ذهبت إلى غرفتي لأستريح من مجهود الليال الثلاثة الشاقة ، لأغوص في نوم عميق بجانب غيث ، وتمر أول ليلة بسلام ليس فيها من مشقة وعناء إلا ما كان من السفر.

" الفندق "

إستيقظت مبكراً جداً ، علي عكس ما توقعت ، على صوت أشبه بالخدوش يأتي من نافذة الغرفة ، في البداية فُزعت وكنت علي وشك إيقاظ غيث ، ولكن أخذتني جرئتي وأردت أن أرى ما سبب هذا الصوت الغريب بنفسي.

نهضت من سريري ، يدور بذهني أكثر من فكرة ، إحداها مثلاً هل عندما أسحب الستارة سأجد ثعبان ضخم ، أو ربما نمر معلق على الشجرة تمكن من التسلق ، أو ربما هرة تريد الدخول.

تحركت بخطوات بطيئة ، أسيرعلى أناملي حتي وصلت إلى النافذة ، وسحبت الستارة شيئاً فشيئاً لأتفاجئُ ب.....

لا شئ ..لا يوجد شئ علي الإطلاق !!!

وأن هذا الصوت صدر نتيجة إحتكاك أوراق الشجر بالزجاج فقط ، مع قوة دفع الهواء.

إرتخت أعصابي ، ووقفت أتأمل المناظر الطبيعية الخلابة ، الاشياء التي صنعت من الله ، وليس بها أي تدخل بشري ، رددت داخلي " سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" وأنا انظرلجمال وإبداع الله فيما خلق.

وحيثما كنت غارقة في أفكاري ، شعرت فجأة بحركة ، وحرارة تقترب من خلفي ، لم يسعفني الوقت لأستدير ، لتكون يد غيث تلتف من حولي ، يعانقني ويقول لي بأنفاس دافئة استشعرها في رقبتي :-

ـ صباح مشرق بوجود شمسي معي

أغمضت عيني مبتسمة ، لأستنشق الهواء الممزوج برائحته الطبيعة ، ودفئ زوجي من حولي ، لأقول له :-

ـ صباح الخير يا (غيثي) ، هل أقلقتك بفتح النافذة ونور الصباح ؟؟

طبع قبلة على كتفي أولاً , وتنهد قائلاً:-

ليس بنور الصباح تحديداً ، ولكني شعرت بكِ عندما تحركتي من جانبي ، فكيف لي أن تغفو عيني ، وأنتي لستِ بجانبي ؟؟

هنا أستدرت له ، أتحسس لحيتهُ بيدي ، وأنظر لعيناه المحمرة من أثر النوم ، ولكن تلمؤهما الحنان ، وقلتُ لهُ في امتنان :-

ـ أحبك كثيراً يا (غيثي) ، لم أكن لاتوقع حياتي هكذا بعد زواجنا السريع هذا ، انتَ جئت لحياتي لتغير لي كل أفكاري السيئة عن المشاركة والمسئولية ، قبل مجيئك كنت أنظر لكل أنثي مقبلة علي الزواج ، بأنها حتماً مختلة ، أو ليست واعية بشكل كافي.

وأتسائل بداخلي لماذا تترك الانثي حياتها ، وبيتها ، ورشاقتها ، وحتي فراغها لنفسها ، لتلتزم برجل ، وبيت وأطفال ، وتهمل كل هذا ؟؟!!

ما الذي يدفعها لهذا ، غير أنها من المؤكد مختلة عقلياً ؟؟

حتي إلتقيتُ بكَ وجعلت مني أكبر مختلة بالتاريخ.

إبتسم لي ، وهو يضمني إلى صدره ويلملم ما يتناثر من شعري خلفي ليقول

ـ أنتِ أجمل مختلة رأيتها بحياتي ,أنا أيضا يا عزيزتي لم أكن لاتوقع هذا الكم من الأمان ، والإستقرار معكِ ، لقد أكتفيت بكِ عن كل العالم ، وكل الناس ، وبرغم إيماني أنه سيظل داخلنا ثمة شيئاً ضالٍ نفتقدهُ ، إلا أنني عندما أضع رأسي على وسادتك ، أنسى حياتي بأكملها ، لا شيئاً أقيم وأكبر من إستيقاظي كل صباح ، على هذه الملامح الملائكية خاصتي ، فهل يوجد شيئاً أغلي منك!

فهززت رأسي له مؤكدة علي كلامهُ ، أعلم أن هناك بعض المشاعر والأشياء التي لم نحظي بها ، وستظل هذه الضالة داخلنا إلي الأبد ، لعدم حصولنا علي

آباء ، وبيت دافئ ، وأسرة في طفولتنا ، ولكنني سأبذل قصارى جهدي لبناء تلك الأسرة معهُ ، لأكسر مقولة " فاقد الشئ لا يعطيه .. لالا.. بل يعطيه وببذخ".

مرت بيننا لحظات دافئة هادئة تبادلنا بها المشاعر الطيبة ، أخذنا نتحدث في أكثر من موضوع ، ولم نشعر بمرور الوقت ، مع صوت الطبيعة ، وإهتزاز الأشجار من حولنا.

إلى أن جاء صوت دق الهاتف الخاص بالغرفة ، نهض غيث ، وعندما إنتهي من المكالمة عاد ، وهو يقول في حماس:-

ـ هيا بنا لنرتدي ملابسنا ، ونبدأ أول أيامنا الإستكشافية معاً.

****

" كهف الهلاك "

لا يوجد شئ على وجه الأرض لا ينهار ، مهما بلغت قوتهُ ، فالقوة الحقيقة تكمن في إستقرار النفس ، وليست قوة البدن ، عندما تتكاثر الهموم بالقلب ، وتتثاقل أرواحنا ، لا نقوى على سماع كلمة مواساة ، نشعر أن كل شئ جاء ليغضبنا فقط.

يتوقف ذلك الغضب في وجود من نحب ، هنا ترتخي الأعصاب لأجله ، وتزرف العيون ما بها من كلمات ، ودموع , فكيف حال من ليس لديه أحداً علي الإطلاق.

وهذا ما كان يثقل من روح العملاق ، صاحب جزيرة الهلاك ، الشعور بالوحدة المميتة ، يقتلهُ يوماً بعد يوم .

وبرغم إستخدامه أقوى أنواع الخمور ، ليغفل عن آلام نفسه، تثور روحهُ غاضبة كل ليلة ، وكأن خمور العالم غير قادرة علي نسيانهُ أنه غير مرغوب به ، وأن كل البشر يهابونه ، بل لا يوجد من يتجرأ بالقرب من كهفهُ ، أو يعلمون عن وجوده بالأساس.

وفي أحدي الليالي الثقيلة.....

حيث يعم الظلام ، والسكون علي كل أركان الجزيرة ، وفي غرفة تملؤها الفوضي ، وزجاجات الخمور المتناثرة بعشوائية, يجلس العملاق بمقعده الخشبي المزخرف بحرفية كبيرة ، ومطلي جميع رسوماته بالذهب الخالص وتلتمع تفاصيلهُ بقطع ألماس تضئ عتمة ليلهُ.

مثبت عيناه بنفس الميكروسكوب الخاص به ، في نافذة غرفته ، عيناهُ تكسوها طبقة من الماء ، وكأنه علي وشك البكاء ، لكنه يتماسك ، ويقاوم نفسهُ ، ومع اول رجفة جفون عيناه تساقطت دمعة منه لا إرادية.

رفع يده يتحسس وجههُ ، فشعر بقطرة الدمع الساقطة منه ، لتثور روحه الغاضبة من جديد ، ويأخذ القرار الذي طالما حاول منع نفسه كثيراً منه.

" غابات أوسكادا "

حقاً هي رحلة مختلفة ، ومثيرة من نوعها ، تجولت مع غيث بغابات أوسكادا الشهيرة ، التي يقع على أطرافها الفندق المقيمين به ، ومن روعة المكان ، وهيبتهُ ، كنت علي وشك نسيان ما جئنا الرحلة من أجله ، وهي

" الشواطئ السوداء "

وبعد إرهاق كبير من التجول وسط الغابة ، طلبت من غيث الإستراحة قليلاً ، وجلسنا معاً ، بجانب شجرة ضخمة ، مثل التي رأيتها بمنامي قبل ذلك

كنت أبحث ببصري على أي شواطئ تقع على مرمى رؤيتي ، لكن من الواضح أن لا يوجد بحور بالقرب إطلاقا ، فألتفتُ إلى غيث ، الذي كان منشغل بجمع الحطب ، وقلت لهُ :-

ـ ألم نأتي إلى هنا من أجل إستكشاف " الشواطئ السوداء " ؟!

قال لي وهو مستمر في إنشغاله :-

ـ أجل يا عزيزتي

ـ ولما نحن الآن نتسكع ، ونضيع الوقت في الغابة هنا ؟

ـ هل مللتي ؟؟

قلت له

ـ بالطبع لا يا عزيزي , المكان هنا رائع ، ولكن هذه ليست وجهتنا

أشعل الحطب ثم جاء جلس ملتصقاً بجانبي وهو يقول:-

ـ إستمتعي بوقتنا هنا ، وغداً سنذهب للشواطئ كما تشائين ، هي بعيدة قليلاً من هنا ، وأردت ألا أرهقك اليوم ، فنحن تعبنا كثيراً الأيام الماضية.

قلت في تعجب وحيرة

ـ وما هي المسافة بيننا وبين الشاطئ ؟

فكر قليلاً ثم أجاب :-

ـ أعتقد ساعة ونصف فقط بالسيارة.

زممت شفتاي وقلت له في لؤم يختلط بالدلال

ـ مممممم ولما جئنا إذن هنا، وأقمنا هنا يا غيثي

هذا يبعد كثيراً ، كنت أريد فندق علي الشاطئ مباشرة ، لسهولة تحركنا ، هذا الوقت عبر الطريق سيقيدنا كثيراً

نظر مطولاً في عيني في صمت ، ويبدو عليه التفكير ثم قال:-

ـ هذه رغبتك؟؟

: فرددت في تعجب ، وابتسامة ماكرة:-

ـ نعم رغبتي

: فقال وهو يضع قبلة في كفي

ـ وهل من الممكن أن زوجتي تريد شيئاً ، ولم يتم تنفيذه في الحال ؟

هززت رأسي وأنا أبتسم له ، فنهض من مكانه في حماس مفاجئ ، وقال لي:-

ـ هيا بنا

: فقلت له في تعجب

ـ الآن ؟؟؟

ـ نعم الآن هيا نعود للفندق ، ونجمع أغراضنا ، ونرحل قبل حلول المساء علينا.

نهضت ف حماس ، قافزة من مكاني في فرحة ، أعانقهُ بإمتنان ، وأقول له بحماس بالغ :-

ـ ياااا غيثي كم أنت رجُل رائع.

" العودة للفندق "

سرعان ما عدنا إلي الفندق ، وتركت غيث بالأسفل يبلغهم بالمغادرة ، ويحضر سيارة لنا ، تقلنا لفندق آخر.

وبالأعلى جمعت أغراضنا وعندما إنتهيت ، تركت الغرفة متجهة لغيث بالإسفل ، وفي طريقي له ، رأيت نفس العامل الذي تحدثت معه بالأمس ، عن الأضواء وقلة عدد الموجودين ، فهو شاب أربعيني من العمر تقريباً ، قصير القامة ، نظر لي في تعجب ، ثم نظر لشنطة السفر في يدي وقال وهو يتجه نحوي :-

ـ هل ستغادرين سيدتي ؟؟

فقلت له في إبتسامة

ـ نعم سأغادر للانتقال بفندق آخر

فقال في تعجب:-

ـ هل الغرفة بها شئ أزعجك ، يمكنني مساعدتك!

فقلت له في شكر:-

ـ لا لا إطلاقا الغرفة والفندق هنا رائعين وكل شئ ممتاز ، ولكن الفندق يبعد مسافة كبيرة عن الشواطئ السوداء ، واريد الإقامة بالقرب من هناك فقط.

تحركت عيناه في حيرة واضحة ، وقلق ، عند سماعهُ جملتي الأخيرة ، وقال

ـ الشواطئ السوداء

ولكن هذا خطر كبير يا سيدتي ، لا أحد يقيم هناك إلا قليل جداً من الناس ، أقل مما يقيمون هنا حتى

فقلت له في إستعجاب:-

وما هو الخطر في ذلك ؟

قال:-

ـ ألا تعلمين شيئاًعن " جزيرة الهلاك " التي تقع بمنتصف البحر هناك ؟؟!

نظرت له في حيرة ، واستغراب من إسم الجزيرة ، وكنت على وشك أن أسألهُ لماذا سميت بهذا الأسم ، وماذا يوجد بها ، لكن جاء غيث ، في عجلة من أمره ، وهو يقول:-

ـ أين أنتِ يا عزيزتي ، السيارة في إنتظارنا بالخارج ، لقد تأخرنا كثيراً.

وأخذ شنطة السفر الخاصة بنا في يد ، ممسك بيدي في اليد الأخرى ، ورحلنا سريعاً ، تحت نظراتي للعامل ، ونظراتهُ القلقة الفازعة ، التي لا أعلم سبباً واضحاً لها.

جلس غيث بجانب السائق ، بينما أجلس خلفه ، شاردة الذهن ، غارقة في أفكاري ، وفي كلام العامل معي.

ظلت كلمة " جزيرة الهلاك " تتردد بداخلي ، فلا أعلم هل أخبرغيث عن الحديث الذي دار بيني وبين العامل , أم هي فقط خرافات شائعة لا تستدعي كل ذلك القلق, ولكن إن أنا أخبرته لربما فزع وأعادنا مرة أخرى إلي نفس الفندق ، ويقلق من الذهاب هناك.

ظلت الأفكار ، والتساؤلات ، تدور بذهني ، وكلما إقتربنا بالسيارة إلى وجهتنا ، يُثار فضولي أكثر ، وأكثر

حتي قررت مؤقتاً عدم إخبار غيث ، في الحال ، ومن المؤكد سنعرف هناك كل شئ ، إذا كان هذا حقيقي بالفعل ،ربما قال العامل هذا بالكذب ، ليخيفني ، ويقنعني بعدم مغادرة الفندق.

سيتضح كل شئ ، بعد وقت قصير جداً.

بعد مرور ساعة ، وبضع دقائق مثلما قال غيث ، وصلنا أخيراً ، الفندق الأقرب للشاطئ ، وكان قد حل الليل علينا ، فلم أرى المكان بوضوح

ولكن كنت أشعر ببرودة المكان ، ورائحة الرمال الرطبة واليوود عن بعد

وعندما أنشغل غيث بحجز غرفة لنا ، رأيت لائحة كبيرة في صالة الاستقبال بها تنبيهات للسلامة ، وأولها ، هو إخلاء مسؤولية الفندق من نزول أي شخص للبحر ، لغرض السباحة ، أو الغطس.

كما أنني لاحظت أن لا يوجد غيرنا بالمكان ، قلت لنفسي هذا الهدوء من الممكن أن يكون بسبب أننا في وقت متأخر من الليل فقط.

أكثر من شئ يدور بذهني ، وأكثر من شئ يقلقني ، ولكني لا أريد لفت إنتباه غيث ، فهذه أول رحلة لنا ولا أريد إفسادها.

صعدنا إلى غرفتنا المطلة على البحر ، ولكن لا يوجد أضواء لأرى شئ ، سوي الظلام في كل مكان ، وانتهي اليوم الثاني ، لأنتظر اليوم الذي يليه ، ليتضح لي بعض الغموض ، الذي يسكنني!!

" الشواطئ السوداء "

أشرق صباح يوم جديد....

وبرغم إستمراري في السفر الدائم ، والتنقل ، ولكن يظل نومي يؤرقني ، لتغير مكاني بغرفتي ، ومنزلي ، ووسادتي المفضلين عندي.

تحركت بخطوات بطيئة ، كي لا أقلق غيث في نومه ، وكعادتي أول مكان أتحرك إليه ، هو النافذة ، لأتفاجئ بجمال ، وروعة ، ونقاء البحر من حولي قلت لنفسي ، كيف لهذا النقاء أن يسمى بالشاطئ الأسود **؟؟!**

رائحة الرمال ، والنسمات الرطبة ، تكاد تنسيني كل ما حدث بالأمس

امتلئتُ بالطاقة الإيجابية ، من الأجواء المحيطة بي ، ولم اقوى على منع نفسي ، من إيقاظ غيث ، ليرى هذه الروعة معي ، ونسرع بالنزول ، وبالفعل تركت النافذة ، وعدت إلى غيث الغارق في أحلامه ، لأتحسس لحيتهُ السوداء الناعمة ، وأقول له بصوت هادئ :-

ـ عزيزي هل إستيقظت ، لعدم وجودي بجانبك ؟؟

فلم يرد ، أو يتحرك حتي ، فأغضبت معالم وجهي وقلت:-

ـ هل كنت تكذب ، عندما قلت لي إنك لا تستطيع النوم ، وأنا لستُ بجانبك ؟؟

أبتسم وجههُ رغماً عنه ، ليفتح عيناه وهو يقول:-

ـ كم انتي مجنونة يا ليا

: فقلت له في تساؤل

ـ ليا ؟؟؟؟

: فضحك أكثر وهو يقول

ـ يبدو أن عزيزتي هرموناتها ليست علي ما يرام

هنا ضحكت أنا أيضاً من كلماته تلك ، وقلت وأنا أحرك إبهامي له محذرة

ـ وإن لم تستيقظ بالحال ، وتأخذني إلى الشاطئ ، سيكون يوم عسيرعليك يا عزيزي.

قال في كسل:-

ـ وبالرغم من عدم خوفي من تلك الحركات التهديدية ، ولكن أنا أيضاً متحمس جداً للسباحة معكِ اليوم.

تلقائياً ، ودون تفكير قلت له في سرعة :-

ـ لا سباحة لا

فتعجب وقال:-

ـ ولماذا ؟

فقلت مفكرة في أي حُجة

اشعر ببرودة ف جسدي ، وكنت اريد النزول معك ، فلتكن غداً ما رأيك ؟

فقال غير مبالي

ـ كما تشائين ، إذن هيا لنتفقد المكان ، ونجلس علي الشاطئ فقط

لا أعلم لماذا تسرعت ، برغم حبي لنزول البحر وممارسة السباحة ، ولكن جاء بمخيلتي اللائحة التي رأيتها البارحة في الفندق ، وأيضاً أريد إخبار غيث أولاً ، أو على الاقل أن يرى هذه اللائحة هو أيضاً

وبعد دقائق قليلة غادرنا غرفتنا ، وتعمدت أن أبطئ من حركتي ، كي يلتفت غيث للائحة ، ولكن لسوء الحظ جاءتهُ مكالمة هاتفية ، فقال سريعا:-

ـ معذرة يا عزيزتي ، هذه مكالمة عمل ، سأعود سريعاً لكِ

أومأت له ، و تركني في ساحة الفندق ، ووقف بعيداً ليتحدث

وأثناء إنتظاري إستغللت الوقت المنشغل به غيث ، وذهبت لإحدي الفتيات العاملين بالفندق ، لأستعلم منها عن اللائحة ، وعن جزيرة الهلاك ، التي أخبرني بها العامل ليلة أمس.

رأيت فتاة تجلس بصالة الإستقبال ، علي مكتب عملها ، فاتجهت لها ، وقلت مبتسمة لها :-

ـ صباح الخير

ردت بإبتسامة رقيقة مثلها

ـ صباح الخير ، حضرتك حديثة بالفندق ؟؟

ـ نعم ، اريد منك إخباري ببعض المعلومات فقط

ـ تفضلي سيدتي

نظرت للائحة ، مشيرة عليها قائلة

ـ ما سبب هذه التعليمات ، ولماذا الفندق ينفي مسؤوليته من السباحة ، والغطس ؟؟

فقالت

ـ الحقيقة إنني حديثة التعيين هنا ، ولكن الذي أعلمه أن لا يوجد منقذين بالشاطئ ، واعتقد هذا السبب لسلامة المقيمين فقط

أطمئن قلبي لكلامها ، فهذا سبب كافي بالفعل ، ثم قلت لها

ـ ألا تعلمين أي شئ ، عن جزيرة تتوسط البحر تسمي ب " جزيرة الهلاك " ؟؟

فقالت

ـ عفواً سيدتي ، هذه خرافة بالتأكيد

إيقنت حينها أن العامل ، في الفندق السابق ، كان يريد إرهابنا وحسب

وقلت لها في إبتسامة

ـ شكراً جزيلاً لكِ

: والتفتُ لأرى غيث قادم نحوي ، فقلت له في حماس:-

ـ ما رأيك بأن نسبح الآن معاً ؟؟

: فقال متعجباً

ـ وماذا عن برودة جسدك ؟

: فقلت مطمئنة له

ـ أشعر بتحسن ، كما أنني غير قادرة علي مقاومة هذه الأجواء ، ولم أسبح الحقيقة

: فقال مبتسم وهو يخفض صوته ، ويشير لي بالصمت

ـ الحقيقة أنا أيضاً

إنتهينا من يومً رائع ، فقط سبحتُ مع غيث ، ولم أرى ابداً جُزر على مرمى عيني بالبحر ، كما أن البحر هادئ جداً ، نقي ، وصافي ، وليس به أمواج عالية ، كما أنني أحتفظت بقواقع ، وصُدف مختلفة الأشكال رائعين ، بألوان مبهجة ، ومميزة ، لم أرها من قبل.

وكانت آخر ليلة لنا ، بالرحلة هي غداً فقط ، ليعود غيث لعملهُ ، وأعود لدار الرعاية اطمئن على أطفال الدار ، افتقدهم كثيراً ، وأشعر بأن جمعيهم أطفالي وهم أيضاً يلقبوني ب "ماما"

وطلبت من غيث بما أن آخر يوم لنا غداً ، فلنكرر نفس اليوم ، ونسبح مرة أخري لشدة إعجابي ، وإستمتاعي بالأجواء هنا

وفي اليوم التالي ، والذي كان نقطة تحول لحياتي

ذهبت إلي الشاطئ بمرافقة غيث ، لاحظتُ علي غيث الإرهاق ، والسعال البسيط من صباح اليوم ، وحينما كنا نجلس علي الشاطئ ، قلت له

ـ أري انك متعب يا غيثي ، يمكننا الصعود للغرفة لتستريح

فقال لي

ـ لا عليكِ يا عزيزتي أنا بخير ، أريدك أن تستمعي بآخر يوم لنا

فقلت لهُ:-

ـ حسناً دعني أطلب لك مشروب ساخن يساعدك علي الشفاء ، وسأسبح اليوم بمفردي ، إجلس أنت هنا ، ربما أشعة الشمس تشفي جسدك ، من الرطوبة

: فأومئ لي بالموافقة وقال:-

ـ فقط لا تبتعدي عن نظري

قبلتهُ من جبينهُ ، وهو مستلقي علي الشازلونج مغمض عيناه ، كنت أشعر أنني لا أريد تركهُ هكذا ، ولكني أعلم أن ذلك سيحزنهُ كثيراً ، وربما يقاوم نفسهُ ، لأسعادي باليوم الأخير لنا ، وجعله مميزاً كما أتفقنا بالأمس

رحلت من أمامه ، وشئ داخلي يدفعني للعودة بجانب غيث

لا أعلم بسبب أن البحر فارغ تماماً من الأشخا, فيبدو له رهبة بدون غيث معي ، أو أن السبب هي الأفكار التي كانت تدور بذهني من قبل ؟

ألتفتُ خلفي تجاه غيث ، وجدتهُ يشير لي بحركات تشجيعية للسباحة ، إبتسمت له ، وشعرت أن هذا طمئني أكثر ، فقط تكفي عيون عزيزي معي ، " ليطمئن قلبي "

أخذت نفساً عميقاً ، وأرتميت بالماء ، وحينما كنت أسبح أخذني تفكيري ، في أن أتعمق ولو بالبسيط ، وأبحث إذا كانت هناك جزر حقا ، أو أنها مجرد خرافة فقط

وبعد كل مسافة أقطعها أنظر للخلف لأرى غيث ، فأطمئن وأقطع مسافة آخرى.

شعرت بإرهاق من السباحة ، فتوقفت لأستريح قليلاً ، باحثة بعيني عن أي جزر تتوسط البحر ، ولكني لم أرى شيئاً سوى الفراغ ، فنظرت للخلف لابحث عن غيث ، ولكني أكتشفت إنني قد غبتعدت كثيراً عنه ،ولم يكن بإمكاني رؤية الشاطئ حتي ، توترتُ قليلاً ، بالهدوء والفراغ المحيطين بي من كل الاتجاهات ، وشعرت بالرهبة ، فعكست اتجاهي ، في طريقي للعودة إلي للشاطئ ، ادعو الله بداخلي ، أن لا يقلق غيث ، وأن أعود قبل أن يشعر بابتعادي عنه ، وفي حين سباحتي للعودة ، شعرت بشئ حديدي لامس قدمي من الخلف !

ترجلت ، ورجف قلبي ، وليس بخيالي أي شئ غير القروش ، والأسماك المتوحشة ، توقفت أتلفت ، وأبحث من حولي عنما شعرت به ، ولكن كل شئ ساكن ، ولا يوجد شئ يدعي للخوف علي الإطلاق ، ضحكت في نفسي ، أن كيف أكون فتاة إستشكافية ، وبهذا الخوف ، هاتان الصفتان لا تجتمعان أبداً ، واستكملت سباحتي للخارج ، وعندما رأيت الشاطئ عن بعد ، جاء شئ أمسك قدماي فجأة بقوة ، وسحبني إلى الاسفل بسرعة شديدة ، حاولت التخلص منه ، وأنا مغمضة العينين لا أرى شيئاً ، ألوح بيدي عشوائياً ، لعل أحداً يراني ولكن بلا جدوى ، نفذ الهواء من رئتاي ، وخارت قوتي من الحركة ، حتي أستسلم جسدي للغرق.

" غيث "

أنا غيث.....

الرجل صاحب الثلاثون عاماً ، الذي لم يلتفت ف حياته ، إلا لعمله ، وإنجازاته ، والذي يشعر دائما أنه ليس إلا رجل آلي ، بسبب وحدتي ، وفقد إسرتي في سن مبكر ، مرت سنوات عمري دون أن أشعر بها ، أو أشعر بنفسي

كان روتين حياتي يقتلني ، وتمر سنة تلي الأخري ، ولا جديد يحدث بها ، حتي إلتقيت بها

هي وحدها من تمكنت بتحريك مشاعر تلك الآلة الحديدية ، هي فقط من نجحت ف سلب قلبي مني بنظرة واحدة ، من عيناها الخضراوتين.

منذ أن إلتقيت بها ، وأشعر بالإنتماء لها ، لم تكن لدي نقاط ضعف من قبل ، حتي جاءت هي.

وبدون شعور بالوقت ، تزوجتها في عجلة من أمري ، لأحيا سنين عمري بجانبها

وكل يوم يمر ، وهي معي أشعر أنني لم أعيش من قبلها

أنا الذي أصوات طلقات الرصاص ، لا تقوي علي قلقي من نومي ، كنت أشعر بها كل صباح ، وهي تتحرك وتنسحب بهدوء كي لا توقظني ، هي لا تعلم أنني استنشق رائحتها حتى ، وعندما أشعر بعدم إندماج رائحتها بأنفاسي لا تغفو عيني أبداً

كنت أخشى إبتعادها عني ، حتى في ساعات العمل ، كنت أستمر بالإتصال عليها ،لأطمئن عليها كل دقيقة.

حتي جاء هذا اليوم الملعون

الذي غفوت فيه رغماً عني ، لأستيقظ على إختفائها

لم أقوى على شرح مشاعري في هذا الوقت ، ولكن ما أعلمهُ جيداً ، أن روحي فارقتني منذ هذا اليوم.

فعلت الكثير ، والكثير للبحث عنها ، وبعد مرور أكثر من ثلاثون يوم من البحث ، تأكدت أنها لن تعود ثانية.

عدت إلى منزل الزوجية من الرحلة الأولى ، والأخيرة أيضاً لنا ، مطأطأ الرأس لرجوعي بدونها.

وقررت قراراً حاسماً في أنهاء كل شيء هنا ، وتقديم إستقالتي من الشرطة ، والتصرف في مملتكاتي ، وأبتعد بعيداً ، بعيداً جداً كما إبتعدت هي

لم يكن الأمر سهلاً لأستخراج شهادة وفاة (ليا) لعدم وجود جثمان لها ، وبرغم المتاعب التي واجهتني كان يوجد داخلي ثمة ضوء خافت في قلبي يطمئن ، ويحثني من وقت لآخر ، أن عدم وجود جثمانها ، هذا يعني أن هناك أمل في عودتها.

إلى أن جائتني مكالمة هاتفية من مدير الفندق ، الذي حدث به هذا الحدث الأليم ، ليخبرني بظهور جثمان أنثى متوفية بشاطئ مجاور ، ونقلها لأقرب مستشفى ، لحين التعرف عليها ،وهنا أنطفئ آخر أمل في صدري.

وبرغم شحوبي وضعفي لسماع هذا الخبر ، إلا أنني كنت أشتاق لرؤيتها ، ولو لمرة واحدة ، لأودعها ، وأعتذر لها عن خيانتي ، لتركها هذه اللحظة بدوني.

حجزت بأول طائرة ، وقلبي كالأموات ، لا يشعر ، ولا ينبض ، ولأول مرة أشعر بكرهي الشديد للسفر والطائرات.

وصلت للفندق ، وبدون اي إستراحة ذهبت مع مدير الفندق للمستشفى

وفي غرفة بيضاء كبيرة ذات أدراج من الأستانلس الكثيرة المتراصة في صفوف متتالية ، وبرغم مساحة الغرفة الكبيرة ، وإضاءتها المشعة ، كنت أشعر بأن أنفاسي تتوقف ، ولا يوجد أوكسچين من حولي.

أشار الطبيب للعامل بالغرفة بفتح الدرج الذي يحمل أخر جثة جاءتهم حديثاً

لو أن كل كلمات الوجع ، والخوف ، وكل المشاعر المنبوذة جمعتها لم أوصف مشاعري ، وأنا اسمع صفير الدرج ، وهو يفتح شيئاً فشيئاً

لتظهر كومة منتفخة ، وملتفة بالقماش الابيض مرقعة بدوائر حمراء اللون

لاتقدم لها مثل المسن الغير قادر على الحركة ، أو كالطفل الرضيع الذي يتعلم أول خطواته في الحياة

جمعت كل قوتي ، وسحبت الغطاء من أعلى رأسها ، وانتابني الفزع ، والقئ لصدمة ما رأيت ، من وجه منتفخ ممسوخ ، بلا جلدٍ أو ملامح

: خرجت مهرولاً من الغرفه ، أصرخ بألم وأقول

ـ مستحيل ، مستحيل هذه ليست زوجتي ، مستحيل

حتي أخذني الطبيب لغرفته الخاصة ، وأعطاني حبوب مهدئة

وبدأ يشرح لي ، أن الجثة تم تأكلها من وجودها أيام كثيرة بالماء المالح ، لهذا تشوهت ملامحها وجسدها.

بعد مرور شهر اخر

تمكنت من التخلص من كل ممتلكاتي إلا بيت جدها ، الذي كنا نقيم به ، و دار رعاية الاطفال ، والذي كانت تفضله عزيزتي كثيراً ، وتهتم به ، ولا تحب الإبتعاد عن الأطفال المقيمين به ، كنت أنوي إخلاء مسؤوليتي به ، لعدم تفرغي له ، وإبتعادي عن المكان ، ولكني حين ذهبت إليه لأنهاء إجراءاته شعرت بروحها هناك ، وأنها ستحزن كثيراً إذا أساءت التصرف في مستقبل كُل هذا العدد من الأطفال.

ولشعوري بروحها ، في هذا المكان المميز ، قررت إدارة المكان بنفسي ، وإقامتي وسط أطفالها كما كانت تقول عليهم عزيزتي.

****

" ليا بالجزيرة "

بعد مرور وقت لا أعرفه بالتحديد ، ولكن خمول جسدي ، وعدم إستيعابي لأي شئ يدل أنني على هذا الحال منذ اكثر من يوم تقريباً

فتحت عيني مرة أخري علي الحياة ، التي كنت أعتقد أنني قد فارقتها

لانظر حولي محاولة إستجماع ذاكرتي ، وما حدث ، وأين أنا ؟

ولكن لا شئ سوي الظلام ، وبصيص خافت من ضوء القمر يتسلل عبر نافذة تبعد عني قليلاً

تحسست بيدي ما أنام عليه ، شعرت وكأنه شئ خشبي ،

او شئ صلب ، لكنني لست بمشفى أو بيت

حاولت تذكر أي شئ ، وكأنني فقدت ذاكرتي كلها.

مرت بعض الدقائق في محاولاتي ، في أن أتذكر شيئاً ، أو أتحرك من مكاني ، ولكن لا شئ برأسي سوي الشعور بالدوار ، والتأرجح رغم ثباتي

أغلقت عيني لعلي أستريح من هذا الشعور المرهق ، لأغوص في نوم عميق بعد لحظات.

بعد مرور ساعات قليلة ، شعرت بصوت زجاجة ترتطم بالأرض ، فتحت عيني لأري ما لم أتوقعه حتي بخيالي.

وحش عملاق يجلس بجوار النافذة ، لا أعرف هل هو حيوان ضخم ، أو شيطان.

تكوينه كلإنسان ، لكنه ليس بإنسان لضخامة جسدهُ ، يرتدي جلباب من اللون الأسود ، وتظهر لحية كبيرة شعثاء بالجنب منه، لكني لم اري وجههُ بالكامل ، كان يجلس بظهره ولم يراني ، ثم استدار فجأة ، لينظر تجاهي ، فأغلقتُ عيني سريعاً مدعية أنني ميتة كما يعتقد بالتأكيد ، لأنه لم يقم بإلتهامي كل هذه المدة كما في مخيلتي

شعرت به يتحرك ، وصوت خطواته تقترب مني ، فيهتز جسدي رغماً عني خوفاً ، كلما شعرت أنه يقترب تجاهي ، وليس في إمكاني أن أفتح عيني

وللحظة شعرت أنه سيحطمني مثلما فعل في الزجاجة منذ قليل ، ولكني شعرت بشئ مثل الغطاء ، يوضع فوق جسدي.

إنتظرت حتى سمعت صوت خطواته تبعتد ، ويغلق باب الغرفة ، لأفتح عيني ، وأرى أنه قد وضع فوقي شئ مثل الغطاء ، لكنه مكون من أوراق شجر متشابكة في بعضها ، الورقة الواحده كبيرة جداً ، وغليظة ، ومُفصلة بعناية كبيرة ، لم أرى مثلها من قبل.

إعتدلت من نومتي بصعوبة شديدة ، ونظرت حولي ، ولأول مرة أرى المكان بوضوح

غرفة كبيرة ، وواسعة ، كل شئ مصنوع فيها من جزوع الشجر ، مثل الصناعات البدائية الفرعونية

إقتربت من النافذة بحذر لأستدل على موقعي الآن ، ظهرت أمامي أرض زراعية كبيرة ، وعلي جانبي بيوت خشبية صغيرة صنعت من جزوع الشجر أيضاً ، علي شكل هرمي ، وحولها العشب الطبيعي

وبعيداً في نهاية هذه الرقعة الغريبة من الأرض ، تظهر أشجار كبيرة ، وضخمة تلتف بكل الجوانب ، حجمها كمثل النخل ، لكنها أشجار ، ذات أوراق كبيرة مثل الأوراق المصنوع منها الغطاء.

رائحة المكان الرطبة ذكرتني بشئ فجأة

غيث .. الفندق .. العامل .. جزيرة الهلاك .. الشاطئ.. ؟

تكاثرت الأفكار في رأسي ، وكأنني كنت بالفعل فقدت ذاكرتي مؤقتاً ، وعادت الآن

نظرت حولي غير مصدقة

لا يمكن

هل أنا بالفعل في جزيرة الهلاك

هل أنني داخل السر الذي كنت أبحث عنه ؟؟

وهذا الوحش صاحب تلك البقعة الملعونة من الأرض

أمسكت برأسي ، وأنا في حالة من الذعر ، والخوف ، محاولة تهدئة رأسي ، اتنفس بسرعة ، وافكر ماذا أفعل ، وكيف لي أن أنجو من الجزيرة الملعونة هذه.

كنت أعلم أن هذه الجزيرة تتوسط البحر ، وهذا يعني أنني إذا أستطعت هروب تلك المسافة بسرعة جيدة دون أن أواجهه مصاعب ، وعبور الأشجار العالية ، سيكون أمامي البحر من كل الإتجاهات.

وحين كنت أفكر ، وأتحرك في الغرفة هنا ، وهنا ممسكة برأسي في تعب ، سمعت صوت خطواته تقترب.

ذُعرت ، ودق الخوف قلبي

لم أستطيع تمالك أعصابي ، والتفكير بشكل سليم عن ما أفعله ، ووجدتني أقفز من النافذة الذي كان طولها يناسبني ، هاربة للخارج بأقصى سرعتي ، ولكني في أولى خطواتي ، تعرقلت قدمي في الزجاج الذي كان يحطمه منذ قليل ، جُرحت في قدمي اليسرى ، لم أهتم ، ولم أشعر بها بقدر خوفي من ذلك الكائن اللعين.

أخذت أجري ، وأحاول ألا أنظر خلفي ، قطعت مسافة كبيرة دون أن أواجه أي حيوانات ، أو وحوش

حتي وصلت إلي الأشجار العالية ، من بعيد كنت أعتقد انها مجرد صف أو أثنين فقط ، لكنني عندما وصلت إليها أكتشفت إنها غابة كبيرة ، لا يوجد بها أي أنواع أخرى من الأشجار سوى هذا النوع الغريب.

هدئت أنفاسي قليلاً لأبتعادي عن الكهف ، وأستمريت في تقدمي في الغابة ، حتي سمعت صوت الماء ، واستنشقت رائحة البحر من حولي.

لم تكن المسافة كبيرة جداً ، ولكن نزيف قدمي اليسرى أخذ يعيقني ، وقل من سرعتي ، متكئة علي القدم الأخرى مثل العرجاء ، وأستند علي جزوع الأشجار ، وأتقدم

وصلت إلى نهاية الغابة ، ووجدت نفسي على حافة الجزيرة ، وبالفعل من أمامي رمال البحر ، لم أتردد لحظة واحدة ، وقفزت علي أمل أن تراني سفينة ، أو قارب بالصدفة.

ولم يكن بحسباني ما حدث.

عندما قفزت في البحر كنت أعتقد أنني قد عبرت الخطر ، وفي أمان ، وأنني تخلصت من الموت بكل سهولة ، دون مواجهة وحوش أو أي مخلوق على هذا المكان اللعين.

وحين كنت أسبح أول خطواتي فقط ، تكبل قدماي بالشيء الحديدي ذاته مرة أخرى

هو نفس الشئ الذي كبلني ، وأخذني إلي هذا المكان أول مرة ، ولم أراه

لكن هذه المرة رأيته ، وذهلت لما رأيت ، قلتُ في نفسي ، هل هذا حقيقي ، فصيلة الاسماك الرومانية المنقرضة من مئات السنين ؟؟؟

ولرغم ذهولي ، وصدمتي أخذت أصرخ ، وأحاول الهروب والتخلص منه

ليقفز بي علي حافة الجزيزة من جديد ، وأنا مثل الفريسة عالقة في سنارته الحديدية الملتفه علي قدمي ، ليتقدم بي نحو الكهف مره ثانية ، ويضعني في غرفة أخري غير التي كنت بها ، غرفة مظلمة ، لا يظهر منها شيئاً إطلاقاً ، ثم أنحنى لي كأنه يلقي التحية أو السلام ، قبل أن يغلق الباب ويذهب ، ولم أستوعب أن هذه التحية موجهة لغيري بالغرفة.

****

جلست في ركن من الغرفة ، لا أرى شيئاً من حولي ، تقطر الماء من ملابسي ، وتنزف قدمي ، وفي حالة من الصدمة ، والخوف ، مما سيحدث الآن ، بعد أن يخبر الوحش بوجودي حية ، ومحاولة هروبي

وصدمة أخري من رؤيتي لأحد الأسماك الرومانية التي قرأت عنها نبذة قديماً في كتاب يكشف أسرار البحور.

وهي عبارة عن كائن اسود يشبه " كلب البحر " وطوله يتراوح بين المترين إلى الثلاثة أمتار ، قوي الجسد ، وشديد الذكاء ، ويفهم لغة البشر بسهولة ، إنقرض نوعهُ منذ عدة سنين ، بإصطياد أخر جنسه ، وتحنيطه في متحف الأسماك.

مرت دقائق ، وأنا منكمشة ، ومتشبثة في قدمي ، أبكي بصوت خافت ، حتي سمعت من يقولي لي بصوتاً هامساً:-

ـ لا تخافي

دق قلبي فزعاً وأنا أتلفت حولي ، وأقول بصوت مرتعش:-

ـ من أنت ؟؟

أضاءت الغرفة بالكامل ، لأراه أمامي بآخر الغرفة ، يجلس علي مقعد ضخم مثل الأمراء ، ولأول مرة أرى وجههُ الأسود ، وملامحهُ القبيحة بوضوح ، والذي كان لا يختلف عن البشر غير في حجمه فقط

تراجعت للخلف مرتعبة ، وعيني متسعة علي مقلتيها ، تتساقط دموعي ، ومتمتمة بكلمات غير مفهومة متقاطعة بصوت مرتعش ، لينظر تجاهي ويقول برجاء:-

ـ لن اؤذيكي ، فقط إهدئي

حاولت التماسك ، والهدوء ، وتنظيم أنفاسي ، ولكن هيئتهُ ، وحجم جسده ، يرهب أي مخلوق مهما بلغت قوتهُ

أسندت علي حائط خلفي ، أتعرج في وقفتي غير متزنة بسبب جرح قدمي ، وأقول له في خوف :-

ـ من أنت ؟؟ ولماذا أنا هنا ؟؟

صمت قليلاً وهو ينظر إلي قدمي ، ثم قال :-

ـ دعيني فقط أعطي لكِ شيئا لمداواة جرحك أولاً ، ثم نتحدث

فتحرك من مقعدهُ الي حائط يصتف عليه زجاجات كثيرة ، ليأخذ واحدة ، ويتحرك تجاهي ، لاحظ إرتباكي وتراجعي للخلف بخطوات متعرجة هيبة منهُ ، توقف ، ووضع الزجاجة علي طاولة قريبة مني ، ثم إستدار وعاد لمقعدهُ ، وهو يقول:-

ـ ضعي هذه العشبة علي جرحك ، سيتوقف نزيفك ، وتشفي خلال يوماً أو أثنين

تحركت للطاولة ، وجلست علي مقعد خشبي ، وضعت الأعشاب علي جرحي وبالفعل شعرت بتحسن ملحوظ ، وهدئت كثيراً ، وبرغم الهلع الذي كان ينتابني منذ قليل ، شعرت أنه ليس وحشاً شريراً ، فليس لأحد شرير أن يفعل هذا.

أطمئن قلبي ، وتوقفت دموعي عن النزول ، كما توقفت الآم قدمي

فتحرك العملاق إلي النافذة ، بخطوات بطيئة ، ليقول ما اهتز له قلبي

إنني بحاجة إليكِ.

بداخلي أرتبكت كثيرًا، ماذا سيحتاج ذاك العملاق القوي من مخلوق ضعيف مثلي، لا يمتلك أي شيء

: ألتزمتُ صمتي ، ليستكمل هو حديثه قائلاً:-

ـ جئتي هنا منذ ثلاثة أيام ، أتي بكِ أحد الرومانيو فاقدة وعيك ، في البداية ظننت أنكِ غارقة ، حتى تأكدت من نبضات قلبك إنكِ ما زلتي علي قيد الحياة ، أعتنيتُ بكِ ، وكنت أعوض جسدك بالأعشاب لحين أسترداد وعيك.

ثم صمت مجدداً ليقول وهو ينظر لي في عيني ، وعيناه تلتمع بالحزن والأسف.

ـ أعتذر منكِ بشدة ، لمجيئك هنا مرغمة بهذه الطريقة

: قلت لهُ بصوت ضعيف

ـ وما هي حاجتك مني ؟!!!

إستدار للنافذة من جديد ، وهو يعلق نظره بميكروسكوب مثبت بها ، وقال

ـ " عناق "

لم أعي شيئاً من كلمتهُ ، فقلت له مجدداً

ـ عفواً ، لم أفهمك

كرر كلمتهُ بنفس النبرة الحزينة الشاردة ، وهو يقول:-

ـ فقط عناق

شعرت أنهُ يمازحني ، أي عناق هذا ، الذي يجعله يخطتفني ، ويعرضني للموت لأجله !!

غير أن هيئتهُ تخيفني ، ولم أجرؤ علي الإقتراب منه حتى ، وكأنه قرأ أفكاري سريعاً ، لاجدهُ ينظر لي وهو يقول:-

ـ أعلم إنني قبيح ، وسئ جداً

: نظرت لهُ في ذهول وقلتُ مرتبكة

ـ لم أقصد هذا ولكن لماذا أنا ؟؟

: عاد إلي مقعدهُ ليقول

ـ لم أقصدك بالتحديد ، فقط أمرت حارسي الخاص " رومينيو " بجلب بشري حي إلي هنا ، فجاء بكِ.

فقلت له في إرتباك

ـ ولكن .. لكن لماذا تريد العناق إلي هذا الحد ؟؟

أغمض عيناه كأنه يتألم من شئ ما ، ثم قال:-

ـ أعيش هنا منذ زمن طويل ، وحيداً ، باستثناء عشيرة الرومانيو المتعايشة علي الجزيرة معي ، وخاضعة لي ، لن يجمعني شيئاً بالبشرمن قبل غير هذا " الميكروسكوب "

الذي أطلع به على عالمكم ، ويؤنس وحدتي

كثيراً كنت أحتاج لمن يحادثني ، ويجلس معي ، ويشعرني انني لستُ منبوذ

وكلما زاد هذا الشعور كنت اتجرع كمية كبيرة من الخمور ليذهب عقلي ، وحزني معاً الي الجحيم.

حتي تخور قوتي ، ويأتي يوم جديد فارغ كغيرهُ

لم أعرف طريقة لشفائي ، لا أجد عشبة تشفي ما في قلبي من كسور

وفي أحدي الليالي كنت جالساً أمارس هويتي المفضلة ، وأتطلع من الميكروسكوب علي الشواطئ المجاورة عن بعد ، حتي وقعت عيني على رجلاً يجلس وحيداً علي الشاطئ مطأطأ رأسه الي أسفل ، يبدو عليه الحزن والوحدة تماماً مثلي

وبعد مرور وقت قليل ، جاءت من خلفهُ أنثى ، يبدو أنها كانت تحدثهُ في شئ ما ، ربما كان يبكي ، فوجدتها تضع يدها علي وجههُ بلطف ، ثم عانقتهُ لوقت طويل ، حينها ذهب حزنهُ ، وأخذوا يتراقصون ويتمايلون مع نسمات الهواء بكل إنسيابية ، ولطف

وقتها حزنت أكثر ، أن ليس لدي من يعانقني مثلهُ ، ربما يشفي قلبي من وخزاتهُ

أقسم لكِ أنني حاولت جاهداً أن أعتزل البشر ، وأن لا اؤذي أحداً منكم ، ولكن شعوري للأحتياج من دفعني لهذا

أنا لستُ قبيح ، وإن كان يبدو هذا خارجياً فقلبي ليس هكذا

كنت في حالة من الذهول ، والتعاطف ، لوقع كلماتهُ علي مسامعي

كيف لعملاق مثلهُ أن يُكمن داخلهُ كم المشاعر الرقيقة ، والنقية هكذا

ووجدتني أقول له ، ما لم يتوافق معه عقلي ، وبدون تفكير

تجمعت الدموع في عيني ، وقلت له بكل عطف ، ولين

ـ إن لم تطلب مني عناقاً ، وسمعت مثل هذه الكلمات منك منذ البداية ، كنتُ ساعانقك دون طلب ، هل تسمحلي بالاقتراب ؟؟

لمعت عيناهُ بالدموع ، وهو ينظرلي غير مصدقاً لتعاطفي معه ، بهذه السرعة ، وقبولي بعناقهُ ، فهز رأسه بالموافقة بأن أقترب

أسندت بيدي علي الطاولة من أمامي ، وبدأت بالتحرك تجاهُه ، ولا أنكر كلما إقتربت كلما زاد شعوري ، بالرهبة ، والخوف ، ولكن ثمة شئ في قلبي كان يصدقهُ

! وقفت أمام مقعدهُ ، في حيرة كبيرة ، وهي كيف أحتضنه

فأنا أمامه في حجم الزجاجة مثلاً

: قلتُ له مازحة:-

ـ هل تسمح بأن تحملني ، لستُ جيدة في التسلق

أبتسم هو أيضاً ثم انحنى للأسفل ، وهو يضع يدهُ علي الأرض يحملني ، ثم بدء برفع يدهُ شيئاً فشيئاً ببطئ

أجتاحني الشعور بالدوران ، والغثيان ، ولكني تجاهلت لعدم إحراجه

لا أعلم الشعور هذا نتيجة الإرتفاع ، والذي يعتبر ليس كبيراً بالنسبة إلى ، أو إنني مازلت مرهقة أثر اغمائي الأيام الماضية

لم أصمد كثيراً ، ووضعت يدي أعلى رأسي متألمة ، وغير متزنة ، وسرعان ما سقطت فاقدة وعي مرة أخرى.

وبعد مرور تلك الليلة إستيقظت ، بالغرفة ذاتها التي كنت بها أول مرة ، وكأنهُ خصصها لي ، لأجدني مُستلقية بنفس المكان أسفل الغطاء الأخضر الورقي ، وهو يجلس كعادته أمام النافذة ، ولكن هذه المرة لم أخاف من وجوده أمامي ، أعتدلت في جلستي وقلت له بصوت واهن ، وهو غير منتبه لإستيقاظي خلفهُ

ـ ماذا حدث

نظر نحوي وهو شارد تماماً ، وقال:-

ـ نبضات اخري بداخلك

لم أعي ما يقصدهُ بالضبط ، فقلت له في فصاحة ، وذكاء بالغ

ـ بالطبع بداخلي نبضاً ، هذا قلبي ، ويوجد لديك أيضاً مثلهُ ، كلنا لدينا نبضات وقلوب

شعرت بذهوله لما قلتهُ ، وحملقته لي أشعرتني أنه يحتاج للكثير من معلوماتي حقاً ، حتي تحرك نحوي وأشار لي لإسفل وهو يقول

ـ النبض هنا

ضحكت ، وأنا متعاطفة لعدم معرفته بالجسد البشري بالطبع ، وقلت

ـ نعم يوجد نبض بجسدي كاملاً ، هذه أوتار القلب فحسب

لا أعلم لماذا تحولت ملامحهُ إلي الغضب ، والإستياء قليلاً ، كما لو أنني الجاهلة التي لا تعلم شيئاً.

حتي زفر نفسهُ بغضب ، وهو يقول

ـ أعلم ، أعلم جيداً أن لديكي قلب ، ونبضات ، واوتار ، وكل هذا، ولكن النبض الذي أقصدهُ ، هو نبض روح جديدة في رحمك.

مرت بعض الثواني ، وأنا مثبتة نظري نحوهُ ، محاولة تجميع شتاتي ، ثم قلت له مستفهمة ما يقصده بوضوح أكبر

ـ ماذا تعني بروح جديدة في رحمي ؟

: جلس موازياً من أمامي وهو يقول

ـ أعني أنكِ تحملين طفل بداخلك

وقفت الاصوات ، والحركة ، وكل شئ من حولي تحول إلي السكون ، ثمة شعور جديد يخلق الآن داخلي ، شئ يدفع دموعي للنزول ، ولكنه شئ حنون ، شئ لا يمكن وصفهُ ، وان تمكنت سيكون مثل أنني حصلت على قوة خارقة مثلاً ؟؟

أندفعت دموعي بغير إرادتي ، وكل ملامحي ثابتة لا تتحرك ، لا أعلم ماذا أفعل

أردت أن يؤكد لي أكثر قبل أن يعلقني بهذا الشعور ، وقلت لهُ في إستنكار

ـ لكن مثل هذه الأشياء تحتاج لطبيب ، وكشوفات ، كيف تأكدت أنت

فقال ما لم أكن أتوقعهُ أبداً

تردد صوته قليلاً ، وهو يقول:-

ـ لدي هّبات متعددة

إنتبهتُ لهُ بكل حواسي ، وربما نسيت أمر جنيني أيضاً ، وانا أحملق به قائلة :

ـ أي هّبات ؟؟

عم الصمت قليلاً من حولنا حتى قال

ـ لدي هّبات مختلفة ، لا اعلم عن ما كانت وراثية ، أو خاصة بي فقط ، لا أعلم

كان فضولي حينها يصل حد السماء ، وأنا أستمع إليه بإنصات وإبهار ، متحدثة إليه في فضول:-

ـ وماذا تخص الهّبات تلك ؟ هل هي قوة جبارة ؟

وكانت هذه المرة الثانية ، والتي لم تكن الأخيرة لنظرتهُ لي بنفس الإستياء من غبائي

ضحكت من نفسي ، فبالطبع عملاق مثله لديه قوة تضاهي أي مخلوق رأيته ، ثم أكملت حديثي وقلت له:-

ـ حسناً، لديك القوة بالفعل ، لكن ماذا تخص الهيبات هذه بالتحديد **!؟**

فقال في هدوء:-

ـ لا يمكنني سردهم جميعاً الآن ، ولكن دعيني أقول لكِ ما يمكنك إكتشافه بسهولة ، لوجودك الآن في مملكتي.

ثم تحرك تجاه النافذة ، وهو يشير خارجها ، ويقول

ـ لدي هبة في المباني ، والزخارف ، مثل ما يقبع أمامك هناك ، فكل هذا من صنعي

ثم أتجه إلي حائط خلفهُ ، وأشار إلي الزجاجات المصطفة علي الأرفف ، وقال:-

ـ وهبة أيضاً في النباتات وإستخدام كلا منها ، وإستخلاص المادة الخام لكل داء

أما عن معرفتي لوجود جنينك فلدي هبة " الرؤية "

وبنفس عدم فهمي لما يعنيه ، أنكمشت ملامح وجهي ، ليستفهم دون نطق مني ، أنني لم أفهم شئ ، ويستكمل حديثه موضحاً:-

ـ أعني انني يمكنني النظر داخل جسدك ، ورؤية ما بداخلك من قلوب ونبضات

قال آخر كلماتهُ ، بطريقة ساخرة علي كلماتي منذ قليل ، زممت شفتي، وأمتعضت ملامحي من تلك السخرية ، وأنا أفكر له في مكيدة ، كيف لي أن اغضبه هو أيضاً ، ثم قلت له بتملق:-

ـ ليست هّبات بالمعني الحقيقي ، فلدينا كل الأجهزة الحديثة في مجال الطب ، والبناء ، والزخرفة ، التي تفعل كل ما لديك بكل سهولة

لم يهتم لكلماتي وكأنه لم يسمعني ، حتي قال بصوت أعلى من حديثه معي

ـ أذنت لك بالدخول

فتح الباب ليقف أحدي صيادين الرومانيو منحني له يقدم التحية ، ممسكاً بكتلة من أوراق الزهور الحمراء المتشابكة ، وضعها علي اقرب طاولة ، ثم تبادلوا النظرات فقط في صمت ، ومن ثم رحل

: وفي ذهول مما حدث قلت له

ـ انت تتكلم معهم وتسمعهم ؟؟

: ابتسم وقال

ـ ربما يصنعون قريباً أجهزة مترجمة من لغة الحيوان الي البشر

هذه المرة لم أخفي ذهولي بقدراته ، وهيباته المميزة حقاً ، وكأنهُ شخصية من الخيال ، من يراه لأول مرّة يشعر بأنهُ وحش بشع وشرير ، ولكن من يعرفهُ أكثر يشعر بأنهُ أسطورة خيالية تستحق أن تُذكر في التاريخ

ولم يسمحلي بالحديث أكثر ، حتي وجدته يغادر غرفتي ، ويشير إلي كتلة الورود التي جلبها الصياد ، ويقول:-

ـ لقد أمرتهم بصنع فستان للكِ من أوراق زهور " الشوكولا

كوزموس" ، أتمنى أن يتناسب معكِ

ثم أكمل في صوت متردد قائلاً :-

ـ كنت أنوي هذا الصباح أن أقول لكِ ، أن يمكنك الرحيل ف أي وقت ، ولكن هناك شئ ضروري سأخبرك به عندما تبدلين ملابسك وتستريحي ، ستجديني بغرفتي المجاورة للكِ.

جلست بمفردي في الغرفة ، والتي بدأت أن أعتاد عليها ، ممسكة بفستان الزهور ، أفكر إذا كان كل هذا حقيقي حقا ، أو أنه أحدى أحلامي الخيالية ليس اكثر ، وماذا عن حال غيث الآن ؟

لكم افتقدتهُ ، واشتاق إلى رؤيته ، هل يبحث عني وسيأتي قريباً ؟

أو أنه أعتقد أنني قد غُرقت ؟

وكيف سأعود إليه ؟

وماذا عن جنيني...؟

والذي أشك في أمره حتي الآن

وما الذي يريد العملاق اخباري به؟ ؟

وبرغم رغبتي في العودة ، ولكن يوجد جزء بداخلي يرغب بالتواجد هنا أكثر ، ومعرفة المزيد عن ذلك الأسطورة التي لا اعرف اسمهُ حتي إلي الآن

وكيف أساعده قبل رحيلي ، وشكره حتى على إعتنائه بي ، وبجنيني كل هذا الوقت دون أذى.

أرتديت فستاني المصنوع من أندر أنواع الزهور ، والتي لم أراها من قبل إلا بالكتب ، ولحد معلوماتي عنها أنها لا تنمو إلا بالمكسيك ،وتتميز برائحتها التي تشبه الشوكولاتة ، لذلك سميت ب زهرة " شوكولا كوزموس" بالإضافة إلى ذلك ، فإنها تتميز بلونها الاحمر الغامق ، أو البني ، وهي تزهر في فصل الصيف فقط.

والذي كان يناسبني جداً ، ومصنوع بحرفية كبيرة ، تماماً كما كل شئ هنا

خرجت من غرفتي متجهة إلى غرفة العملاق المجاورة ، كما أبلغني ، ووقفت بضع ثواني قبل أن أدق بابهُ ، لأرتب كلماتي معه ، وكل الاسئلة التي تدور داخلي ، لأتفاجئ به يفتح باب الغرفة دون أن يصدر مني أي صوت فتحتُ فاهي وأنا اقول له:-

ـ هل تسمع صمتي أيضاً ، مثل الحيوانات ؟؟

خطف نظرة سريعة علي فستاني ، وهز رأسه يميناً ، ويساراً ، وهو يستدير في صمت ويقول:- :

ـ أنا من فعلت بنفسي كل هذا

: تحركت وراءهُ اتعثرفي الفستان لعدم إعتيادي على ارتدائه ، وأقول مازحة

ـ لماذا لم تؤمرهم بصنع بنطال أسهل من كتلة الورود هذه.

ورغم أنني لم أرى وجهه حينها ، ولكني شعرت بأنه يبتسم ، ولا أعرف لماذا أتعمد الثرثرة ، والمداعبة معهُ ، ربما لأنني أشعر أنه بحاجة للإزعاج من أي شخص

إنتهى مما كان يفعله أمام طاولته المناسبة لطوله بالطبع ، والتي لا أستطيع رؤية ما عليها ، ووجدته يستدير بطاولة صغيرة في يده ، ويضعها امامي ويقول :-

ـ هذا الطعام لكِ ، سيفيدك كثيراً أنتِ وجنينك

نظرت له بإمتنان لإهتمامه بأمر جنيني ، ولأنني كنت غافلة بالفعل عن أمر الطعام ، ولم أشعر بالجوع الأيام الماضية.

وقبل أن أسأله أجابني هو قائلاً:-

ـ الأيام الماضية كنت أغذيكِ عن طريق الاعشاب الطبية ، لأحفظ سلامتك وحفظ جنينك ، مما تسببته لكِ

وبنفس نظرة الامتنان قلت له

ـ لا بأس ، أنا الآن بخير بفضل مساعدتك

كانت رائحة الطعام شهية للغاية ، لدرجة أنني انهيت كل ما عليها بسرعة كبيرة ، علي عكس عادتي ، وبالطبع هذا بسبب وجود جنيني ، ولكن هذه لم تكن العادة الأخيرة التي غيرتها لأجل وجوده.

إنتهيت من عشائي ، وقدمت له شكري علي الطعام الشهي ، وطلبت منه أن أستخدم الميكروسكوب الخاص به ، وبكل رقي قال:-

ـ لك ما تشائين

جلست بجوار الميكروسكوب أتطلع منه علي الشواطئ المجاورة ، علي أمل بسيط أن أرى غيث ، ولكن كالمتوقع لم أرى شيئاً من عتمة الليل سوى أضواء الفنادق عن بعد.

وبرغم المدة القصيرة التي دخل غيث حياتي فيها ، إلا أنني أشعر بالضياع بدونه الآن ، أشعر أن روحي غير متزنة ، وأن هناك جزء بتر مني

أنتهى العملاق أيضاً من عشائهُ ، وأحضر كوباً من الأعشاب ، وقدمه لي وهو يقول:-

تناولي هذا المشروب ، سيساعدك علي التخلص من احساس القيئ ، والغثيان

تجمعت الدموع في عيني لا أعرف لإفتقادي زوجي ، أو لتعاطفي مع ذلك العملاق اللين

أو أنها مجرد مشاعر أمهات مبالغة ؟؟

تناولت منه الكوب وأنا اقول:-

ـ أخبرتني انك تريد إبلاغي بشئ ما

قال وهو يجلس علي مقعده:-

ـ نعم .. إنه بخصوص جنينك

دق قلبي خوفاً من أن يأخذه مني ، وبحركة عفوية لا أدري من أين أتيت بها ، وجدتني احتضن بطني بيدي ، كأني إخبئها منهُ

ثم وجدته يستكمل حديثهُ ، غير مهتماً بما أفعله ، ويقول:-

ـ الأمر كلهُ أن لديكِ مشكلة في "المشيمة " ، وهذا ما إكتشفتهُ حين فقدتي وعيك ، وقمت بفحصك ، وهو جزء ينمو في الرحم اثناء الحمل ، و هو أيضا المسؤول عن تغذية جنينك ، وتوصيل الأوكسجين له ، ولكنه تكون لديكي بشكل ضعيف جداً ، وهذا قد يؤثر علي إستكمال نمو جنينك بشكل صحيح ، إذا فعلتي أي مجهود ، لذلك لا انصحك بالرحيل الآن ، ولكني لن أمنعك إذا فعلتي ، فقط أردت أخبارك خوفاً عليكم ، ولكِ حرية الإختيار

ذُهلت لما قاله ، ووجدتني أحتضن جنيني أكثر خوفاً من أن افقدهُ ، وأنا أهز رأسي يميناً ويساراً ، أطرد كلمة فقدهُ هذه من رأسي ، واقول له:-

ـ لا ، لن أرحل ، سأفعل أي شئ لضمان وصولهُ بعافية

هز رأسه هو أيضاً قائلاً:-

ـ يمكنكِ الرحيل في الشهر السابع ، أو الثامن ، حينها ستكون المشيمة في حال أفضل وأقوى ، وأنا سأعتني بكم حتي ميعاد رحيلكم بأمان ، وسأصنع لكم قارب صغير ترحلون به في سلام ، وسيحرسكم صيادي الخاص حتى وصولكم إلى الشاطئ ، لتنجبي طفلك بسلام في موطنك

سبعة أو ثمانية شهور لم يكن وقتا قليلاً ، ولكن لا شئ يضاهي شعور خوفي على جنيني الآن ، ولم يكن لدي إختيار آخر سوى الإنتظار.

ومنذ هذا اليوم الذي قررت فيه البقاء علي تلك الجزيرة ، وأنا أعتاد على المكان أكثر ، وأكثر ، وكل يوم جديد أكتشف به الجزيرة وما عليها ، ولم يمنعني العملاق أبداً من أي شئ أريد فعله ، بل أعتنى بي كما يفعل الآباء بأطفالهم ، وهذا الشعور الذي لم أعرفه من قبل ، ولكنه فعل.

لم تكن الليالي مملة ، وبطيئة كما كنت أتوقع في البداية ، بل كانت مثيرة جداً كنت أشعر كل يوم أنني أرغب بالتواجد أكثر ، لإكتشاف كل شئ ، وتصحيح معلومات كثيرة قد ثبتت عكسها تماماً ، مثل إنقراض فصيلة "صيادين الرومانيو" ، والتي أكتشفت أنهم من أوفى واقرب المخلوقات البحرية للبشر ، ولكننا أسئنا معاملتهم قديماً ، لذلك تم اختفائهم لدرجة توقع العالم بأنهم قد إنقرضوا من سنين عدة ، والتعرف على أنواع الزهور النادرة ، وأشياء أكثر

مرت الأيام ، وتحرك جنيني أخيراً ، وشعرت به ، المرة الأولى كانت أثناء نومي ، عندما أرتجفت على حركة ناعمة رقيقة في جوفي ، لم أصدق حينها أن ستكون لمستهُ حنونة هكذا ، جعلتني أبكي ، واحتضنه حتي ذهبت في النوم من جديد.

وتكررت كثيراً كلما مرت الأيام ، وينمو ، تبدو حركته أكثر وضوحاً ، حتى أتتمت شهري الرابع وكنت أتوقع وأستشعر إذا كانت لمسته من يده ، أو من قدمه الصغيرة.

وبالطبع كل هذا لم يجعلني أغفو عن محاولاتي ، وتفكيري في مساعدة العملاق ، للتخلص من حزنهُ وشعور الوحدة القابع بعيناه طوال الوقت ، والذي سيلازمه أكثر حينما أرحل بالتأكيد.

حاولت بكل الطرق أن اجعله يفعل اشياء لم يفعلها من قبل ، مثل السباحة والتي كان يرفضها بشدة ، لكن مع استمراري بالضغط عليه ، والإلحاح ، رفضها تماماً.

كنت اشاركه كل عمل يقوم به ، ووجود جنيني لم يمنعني من الثرثرة ، والإزعاج له طوال اليوم ، حتي أنه كاد أن ينام مبكراً فقط للتخلص مني كما يقول ، أو كما يريد أن يظهرهُ.

كلما مر الوقت وكبر جنيني في جوفي ، شعرت بالحب يكبر بيننا يوماً بعد يوم ، وليس حبي لجنيني فقط ما ينمو.

ومعه أيضا غمتناني ، وحبي لذلك العملاق "الاب الكبير" ، كما أطلقت عليه بداخلي.

لفت إنتباهي كثيراً البيوت الخشبية الكثيرة الموجودة علي الجزيرة ، والتي تناسب البشر جداً في بناءها ، وأدواتها، على عكس بناء الكهف الكبير الذي نقبع به ، وعندما حاولت معرفة تواجد هذه الأكواخ منه ، لم يعطيني إجابة كمثل أشياء كثيرة يهرب من إجابتها.

كل سبعة أيام تمضي كان هذا يوم الكشف الطبي بالنسبه لي ، أقوم بالتمدد علي أحدي الأرائك الخشبية ، ويقوم طبيبي العملاق بفحص جنيني ، ويطمئني عليه ، وعلى سلامته ، وتكوينه ، ويقوم بوصف تفاصيله إلا تفصيلة واحدة فقط ، التي كنت ارفض معرفتها ، وهي نوع الجنين

أردت عدم المعرفة لحين عودتي إلي غيث أولاً

كنت أشعر بحب العملاق لجنيني ، حتي أنه كان يشتاق ليوم الفحص أكثر مني ، كانت تتحول عيناه وقت الرؤية الي لون عسلي مشع فقط ، كأنها تضئ مثل القطط ، في البداية كان يلازمني الخوف قليلا منه ، ولكن بعد مرور كل هذه الأيام ، بقي يلازمني الخوف فقط إذا ابتعد.

في بداية شهري الخامس ، أخبرني العملاق بأن المشيمة في حالة جيدة بعض الشئ ، ويمكنني الرحيل في الشهر السادس إذا تحسنت أكثر ...

سعدت كثيراً بالخبر ، ولكن صوته وهو يخبرني ، يتردد داخلي كل ليلة ، ويؤرقني في لَيلي ، اخذت قرار أنني لن أرحل ، إلا وفعلت له شيئاً يغير حياته للأفضل ، لا أعرف الآن ما هو الشئ ، ولكني سأفعل.

****

" العملاق "

منذ أن جاء صيادي الخاص "رومينو" ، بجسد فتاة ضئيل جداً ، لا تتحرك فاقدة وعيها ، كنت أعتقد انها قد غرقت قبل وصولها ، شعرت بالندم الذي لا اعرف وصفهُ ، ولكم تمنيت أنني هُلكت قبل أن أؤذي روح بريئة لا ذنب لها بعتمتي ، ولكني عندما تفحصتها ، وجدت قلبها ينبض ومازالت علي قيد الحياة ، كان هذا النبض كمثل الضوء الخافت الذي أنار عتمتي ، والذي أعطاني فرصة للإعتذار عن قرار آخذته في غفلة عقل سوداوية.

كانت ملامح وجهها بريئة جميلة ، مثل الوردة التي تنمو مرة واحدة في العمر ، لا أشعر بالوقت بجوارها رغم فقدان وعيها ، تمنيت لو استمرت هكذا في نومها ، وأظل بجانبها دائماً ، كانت كل مخاوفي عندما تستيقظ ، وتري قبحي ، وكيف ستفزع وربما يصيبها مكروه ، كنت أتحدث معها كثيراً واقول لها ، أنا لست وحشاً فظ مؤذي ، أنا مثلك ، لكني مختلف ظاهرياً ، أنا روح مسالمة لديها الكثير من المشاعر ، والحب ، يرفضني العالم لأختلافي ، أرجوكِ لا تخافين ، لن اؤذيكِ ، فقط أريد شعور القبول والأمان ، كنت أتناول الخمور لأنسى ما أنا عليه ، أعدك أنك ستستيقظي ، ولن ترين زجاجة واحدة منهم ، أنا الآن لا أريد النسيان ، ولا أريد أن أكون سيئا ، فقط أريدك معي يا طفلتي.

وفي اليوم الثالث الذي كنت أنفذ به وعدي لها ، وأكسر جميع زجاجات الخمور من النافذة ، أستفاقت طفلتي وتحركت ، أرتبكت كثيراً ، وتوقفت عن تكسير الزجاجات ، كنت خائفاً عليها ، ومن فزعها ، شعرت بإهتزازها ، ورجفتها ، من خوفها ، فأخذت غطاء كنت قد صنعته لها من أوراق الشجر يناسب حجمها ، ووضعته عليها كي تشعر بالأمان ، وتعرف أنني لا اريد بها سوء ، وغادرت الغرفة كي تتحرك ، وتفكر جيداً ، ولكنها هربت كما توقعت ، كنت أريد تركها ترحل ، لكني أردت الحديث معها ولو لمرة واحدة ، ربما تعذرني عما فعلته بها ، أمرت صيادي بجلبها مرة أخرى من الشاطئ ، وبالفعل لم يمر وقت كبير وعاد بها في غرفتي ، تنزف الدماء من قدمها ، وفي حالة من الفزع ، والخوف مني ، كما سمعت أفكارها حينها ، وهي أحدي الهيبات التي لم أفصح عنها.

عندما قلت لها لا تخافي ، كنت أريد أن أقول الأطفال لا يهابون آباءهم ، ارجوكِ لا تخافي ، ولكني نطقت بما يمكنني قوله ، بكاءها كان يمزقني ، كأنها قطرات من نار تراها عيني ، لكن تتساقط علي قلبي.

كانت هذه المرة الأولى التي تكلم بها قلبي مع شخص غيري ، أفصحت لها عن كل ما بجبعتي ، عيناها كانت تشجعني للتحدث أكثر معها ، كنت أشعر أنني إذا أفرغت كل ما أريد قوله ، ستمر سنين ، ولن ينتهي كلامي معها

لم أتوقع رد فعلها عندما أنتهيت

لقد تقبلتني ، تقبلتني طفلتي ، ولن تخاف ، كان هذا بمثابة الشعور الأعظم لدى ، لم أشعر بشيء مثله من قبل ، تلك المشاكسة الصغيرة فعلت بقلبي شئ عظيم ، جعلتني جميلاً لأجلها.

وعندما حملتها لأول مرة بين يدي ، وفقدت وعيها مرة أخري ، فزع قلبي خوفاً من فقدها ، أنا من أعتاد الفقد والوحدة ، رق قلبي ، ودق الخوف أبوابه بسببها.

فحصتها بعيني ولم أتوقع أن أرى مثل هذا في يوم ، تلك القطعة المستديرة الضعيفة التي تنبض بجوفها ، وبها بعض المشاكل التكوينية ، وبرغم معرفتي جيداً أن هذا حدث نتيجة ضعف جسدها ، إلا أنني شعرت أن هذا حدث بسببي ، لذلك حملت نفسي مسؤوليتها ، ومسؤولية صحة جنينها الي أن يكتمل.

وعندما أخبرتها ، وخيرتها أن تبقي تحت رعايتي أو ترحل ، كان داخلي يحتاج بقوة لوجودها ، وللمرة الثانية لم تخذلني صغيرتي ، وأختارت البقاء معي بإرادتها دون خوف ، ومنذ هذا اليوم انقسم قلبي بينها وبين جنينها.

في الأيام الأولي\ى كنت أحب مشاركتها معي في كل شئ ، وكلما كبر جنينها يتعلق قلبي به وبها ، أعتدت وجودها وأحببت الايام معها.

كنت أسمع أفكارها دائماً ، وهي تفكر في زوجها ، وفي كيفية مساعدتي قبل رحيلها ، هي لا تعلم أن مجرد وجودها هنا هو المساعدة الأكبر بالنسبة لي ، فقط جعلتني أشعر أنني حي ، ويمكن محبتي مثل أي مخلوق.

لم تخلو الليالي من حديثنا المستمر ، ولم اخلو من ثرثرتها ، وإزعاجها المحبب لقلبي ، فهي ذات فضول كبير لكل شئ ، ولكن هناك الكثير الذي لم أتمكن من شرحهُ لها ، كنت علي وشك الاعتياد علي وجودها ، ونسيان أمر رحيلها.

ولكن عندما أتمت شهرها الخامس ، واقترب موعد إنجابها ، حينها إبتعدت عنها علي أمل أن أعتاد حياتي بدونها من جديد ، لكن كيف يحدث هذا مع إصرارها علي الإقتراب ، والمحاولة معي ، حتي عندما تقمصت الغضب والإستياء منها ، لم تبتعد ، ولم تحزن ، وكأنها قد قرأت ما بداخلي.

لم أسهو عن أمر صنع القارب لها ، وقمت بتصنيعهُ بنفسي ، وفي اليوم الذي بدأت بصنعه ، بالطبع كانت تلازمني ، وتجلس بالقرب مني في الغابة ، تساعدني بقطفها للفاكهة وأكلها ، وكعادتها في الثرثرة ، وإقتراحتها التي تناسبها فقط ، ظلت تتحدث ، وتتحرك بثقل بلا فائدة ، حتي جائت عند كومة ورق الأشجار التي أسقطها لأستخدمها في صنع دواخل القارب ، جلست عليهم ، وهي تقول:-

ـ سأساعدك في عد هذه الأوراق.

وظلت تلعب بهم مثل الأطفال ، وتضحك إذا تطايرت من حولها ، وتتثائب ، حتي غلبها النوم مكانها ، وبدأت في أحلامها الطفولية ، والتي كنت أحب كثيراً رؤيتها معها ، تركت الاخشاب ، وجلست بجانبها مغمض العينين أرى ما تحلم به تلك الصغيرة ، وكان هذا الحلم سبب في تغير مسار حياتي كلها

****

" ليا "

في الأسبوع الأخير من شهري السابع ، كان قد إنتهى العملاق من بناء القارب الخاص بي ، والذي كان حجمه كبيراً جداً ، عكس ما توقعت أن يصنع قارب يكفيني فقط ، والذي لا أعرف لماذا صنعه بهذا الحجم الي الآن

وفي بداية شهري الثامن قام بالكشف علي جنيني كما يفعل كل أسبوع ، لمعت عيناه لا أعلم من الفرحة أم الحزن وهو يقول:-

ـ جنينك في أفضل حال ، يمكنك الرحيل من اليوم إن أردتي

شردت أمامي افكر

كيف لي أن أرحل وأنا لم أفعل له أي شئ ، بل هو من فعل معي كل شئ ، أعتنى بي ، وأكرمني أنا وجنيني ، وماذا عني ؟؟

نعم لقد حاولت معه كثيراً أن أقترح عليه أشياء عديدة ، مثل أن يسمح للبشر الدخول للجزيرة ، ومعرفته ، أو يجعلني أتحدث عما حدث معي هنا ويعرفه العالم ، أي شئ يجعل الآخرين يعرفونه دون خوف ، يكسر وحدته وإنعزاله عن العالم ، لكن كل حلولي كان يرفضها ، ويوصيني دائما أن لا أخبر أحد عنه ، أو عن أي شئ أعرفه عن الجزيرة.

ـ لن أرحل

: لا اعلم كيف قلتها فجأة ، نظر تجاهي في دهشة ، وهو يقول:-

ـ لا تقلقي ، سأكون بخير ،عليكي الرحيل الآن

أدعيت التعب المفاجئ ، ووضعت يدي علي جبهتي ، محاولة إقناعه ، وقلت

ـ لن أرحل اليوم ، أشعر بالارهاق ، فليكن يوماً آخر

اومئ برأسه ثم غادر الغرفه بصمت

يفهمني ، وافهمهُ اعلم مدي حزنهُ على فراقي ، ويعلم مدي تعاطفي ، وإمتناني له

ومنذ هذا اليوم ، وكل ليلة اخترع حيلة لعدم رحيلي ، والذي كان يعلم جيداً أنها مجرد حيل كاذبة فقط

حتي مرت الأيام ، ولم يكن إرهاقي ، وتعبي مجرد حيلة للهروب من يوم الرحيل

وبرغم ثقل حركتي ، وإرهاقي الحقيقي بالإيام الأخيرة ، لكني لازمته كل دقيقة ، لا أعرف هذا ما يحتاجه بالفعل ، أم أنني من أحتاج لوجوده **!؟**

ولا أعلم كيف مرت الأيام بهذه السرعة ، ومرالشهر الثامن ، وزاد إرهاقي ، وإنتفاختي أكثر ، وأكثر ، ووجدتني في بداية الشهر التاسع ، عندما قام بالكشف مرة أخرى أبلغني أنها أيام وضعي ، ولا يمكنني الإنتظار أكثر

كنت خائفه من ذلك اليوم كثيراً ، وكل يوم أنوي به المغادرة ، شئ ما يمنعني ، كسل أو خمول أو تعب ، وبدلاً من أن يكن وجودي هو الذي يخفف عنه ، هو الذي كان يخفف عني ويطمئني.

وفي المساء الأخير بيننا ، جلست معه بالشرفة ، مستلقية علي أحدي الأسِرة ، بينما يقف هو خارجها يتطلع إلي السماء من النافذة ، وأتطلع خلفه على كل ركن من حولي قد أحببته مودعة لهُ ، وقلت له بصوت متعب

ـ هل اخبرك سر

ثم أكملت دون أن أنظر إليه محملقة بالسقف

ـ (أشعر أنني سأعود إليك مرة أخرى)

ثم نظرت له ، وجدته شارداً حتي أنه لم يسمعني من البداية ، أعلم أن وجودي ، وبقائي هنا كان سبب في تغير نمط حياته ، والأعتياد على الوحدة من بعد الونس مؤلم كثيراً ، وهذا سبب في صمته الايام الماضية ، ولكني أعلم أنني سأعود ، لابد أن أعود.

فصرخت متألمة مدعية الإنجاب كي يستفيق من شروده ، فزع من مكانه وهو يلتف ويقول في خوف

ـ ماذا بكِ

ضحكت علي خوفه وقلت له

ـ ربما أحدهم يستعد للخروج الي الدنيا

جاء جلس بجواري وعلى وجهه معالم الجدية ، والجمود وقال

ـ إستمعي إلي جيداً ، لديكي القليل من الساعات وستضعين جنينك ، لا يمكنك التأخير أكثر من ذلك ، لأن إذا جاء موعدك هنا علي الجزيرة ، لا يمكنني مساعدتك

فضحكت ساخرة مقلدة صوت كرتوني قائله

ـ أين الهيبات أنا لا اراها

: اكمل في جدية

ـ لا وقت للداعبات الأن ، عندما يشق الصباح السماء سترحلين ، ولم أوصيكِ مرة أخرى ، أن لا أحد يعرف ما حدث هنا

كنت أعلم أنه يدعي الجمود ، والثبات امامي ، لذلك لم اعترض علي كلامه ، وقلت له:-

ـ حسناً ، هل لي ان اطلب منك اخر طلب

هز رأسه موافقا وقال:-

ـ بالتأكيد

فقلت بعد تردد

ـ أعانقك

أنصهرت كل قوته ، وثباته ، وادعائه بالجمود في لحظة ، وظهر اللين ، والإحتياج بعيناه ، كما رأيته أول مرة ، حملني برفق علي يده ، وهذه المرة لم أشعر بشئ من الخوف ، سوي إمتناني لذلك (الأب الكبير)

تشبثت به لدقائق مستشعرة إحساس لم اعرفهُ من قبل ، ذلك الشعور الضال الذي تجاهلته كثيرا ، لعدم وجود والدي منذ الصغر ، لقد اهداني ذاك العملاق أعظم المشاعر المفقودة لدي ، وهو شعور الأبوة

شق نور الصباح سمائنا ، قبل أن ينتهي عناقنا ، ووجدتني مستلقية بين راحة يداه نائمة بكل سلام وأمان ، لولا الألم الذي انتابني فجأة ، واستيقظت بسببه متألمة ، حتي استيقظ هو أيضاً علي صوتي ، ونظر إلي حركة جنيني وقال في فزع

ـ إنك تلدين

ثم تحرك في توتر ، وإرتباك إلي الخارج يحملني بين كفيه متجهاً الي الشاطئ مسرعاً ، حتي وضعني داخل القارب بهدوء ، وهو يهدئني ، ويطمئني ، ويقول :

ـ لا تخافي ، كل شئ سيكون علي ما يرام ، يوجد صياد أسفل القارب ،سيسحبك الي البر سريعاً خلال دقائق ، لا تتحركي من مكانك ، ولا ترهقي نفسك

لم يكن كلامه كافي لتهدئتي ، وأخذت أبكي بنشيج مسموع ، وما زال يقول

ـ لا تخافي

ـ ارجوكي لا تخافي

ـ ستكونين في افضل حال يا صغيرتي

: حتي تحرك القارب ببطئ في البداية ، فحاولت تمالك نفسي وقلت له

ـ شكراً لك يا

ووجدتني لم أعرف له اسم الي الآن

وكان قد ابتعد القارب قليلاً ، فرفعت صوتي متألمة ، وقلت له

ـ لقد سألتك عن كل شئ بالجزيرة ، ولم أسألك عن اسمك **!!؟**

ف ابتسم وهو يلوح بيده يودعني ، وقال بصوت عالٍ

ـ " أديل ما "

سعدت كثيراً بالاسم فهو حقا إسم علي مسمي كما يقولون ، كنت اعرف معناه لشدة حبي للغة النوبية القديمة ، وقرائتي بها ، إبتسمت رغماً عن وجعي ، وقلت

ـ وهل تعني ما معني اسمك ؟؟

فهز رأسه بالنفي ، فقلت بصوت واهن ضعيف بسبب الألم المتزايد

ـ رجُل لطيف

ولكنه لم يسمعني لابتعاد القارب كثيراً ، وتحركهُ بسرعة كبيرة جداً ، ولم يسعفني الألم أن اتكلم مرة أخري بصوت مرتفع ، فاخذت ألوح له بيدي مثله ، حتي تلاشي من أمامي نهائياً ، أغلقت عيني متذكرة كلماته كأنه مازال معي ، ودقائق ، وظهر بالفعل أمامي الشاطئ ، والفنادق عن بعد ، كان ألمي قد وصل منتهاه ، وأطلقت اول صرخاتي (وليست الاخيرة) ، حتي استقر القارب على الشاطئ ، وتجمعوا بعض الأشخاص سريعاً علي صوتي في فزع ودهشة ، وساعدوني في النزول من القارب ، ونقلي إلي اقرب مشفى

وقبل دخولي لغرفة العمليات ، كنت قد كتبت رقم (غيث) لاحدي الممرضات قائله لها

ـ ارجوكِ ، قومي بالإتصال علي هذا الشخص وقولي له يأتي سريعاً ، لأن هناك إمرأة تريد إخباره بشئ بخصوص (ليا)

.

.

مع كل شعور جديد يخلق داخلنا ، نُقسم أن هذا الأجمل ، ف يأتي ما هو اجمل ، فنقسم من جديد ، والحقيقة هي أن لكل جديد بريقهُ الخاص ، ولكل أول شئ (كُل شئ)

(ليا)

ولأول مرة سمعت بها صوت مولودي ، شعرت أن لا شئ في الحياة أجمل مما شعرت الآن ، وأنني لم أشعر حتى من قبل.

لم أعلم من قبل أن القلوب تنصت وتسمع !! لقد مر صوت بكاءهُ الرقيق على قلبي وليست اذني ، راق لي صوت الصراخ من ذلك الصغير المستخلص من أضلعي ، أطمئن قلبي ، وتلاشت كل شهور التعب منذ رأيته

حينما قال لي الطبيب بغرفة العمليات

ـ مبارك لكِ ، انجبتي ولداً

شعرت وكأنني قد تحصنت بدرع من فولاذ

عندما إنتهيت من العملية أول شئ سألت عنه ، هي الممرضة التي أوصيتها تهاتف غيث ، والتي جاءت إلى غرفتي ، وأبلغتني أنها فعلت ما طلبته منها ، وأنه أخبرها سيتحرك فوراً ، وكان بصوته رجفة ، ولهفة كبيرة ، وارتباك عندما سمع منها اسم (ليا) ، وأخذ يردد الأسم أكثر من مرة

ولأنني أعلم أن مسافة السفر ستأخذ ثلاثة أيام حتي يصل ، لازمت غرفتي وسرير المرضى الذي أكرهُ كثيراً ، وبجواري (ملاكي الصغير)

فكرت كثيراً خلال الثلاثة ليال قبل وصول غيث ، ماذا أقول له ؟ وكيف سيكون اللقاء بعد كل هذه الأشهر.

وماذا عن " اديل ما " ذلك الأسطورة الخفية المنعزلة.

وكلما جاءت فكرة في بالي ، يأتي خلفها بكاء صغيري ، فأشعر بأنه يرفض ذلك ، وأحاول التفكير في غيرها

إذا تحدثت مع غيث عن " أديل ما " ، وكل ما حدث في جزيرتهُ ، يمكن ألا يصدق ، ويعتبرها أحدى خرافات أحلامي

وبنفس الوقت لا أريد أن أخذل " اديل ما " بما أوصاني بأن لا أتحدث عنه

وفي اليوم الثالث كان قد وصل غيث ، ووجدت الممرضة تدخل غرفتي ، وهي تقول:-

ـ سيدتي ، أنه بالخارج هل أدخله الأن ؟؟

دق قلبي ، وتوترت ، وأعتدلت في نومتي ، مرتبة شعري من حولي ، كمن تلتقي بحبيبها لأول مرة ، وقلت لها:-

ـ هل أبدو جميلة ؟؟

فضحكت علي عفويتي ، وقالت:-

ـ تبدين رائعة

فقلت لها:-

ـ إذاً إدخليه

فُتح الباب وأغلقتهُ الممرضة من خلفه ، سمعت صوت خطواته البطيئة جداً في الطرقة القصيرة التي تفصل بين الغرفة وخارجها ، كدت أتحرك من نومتي لعدم تحملي تلك الثواني الثقيلة لرؤيته ، وقبل أن أفعل ، وجدته يقف

أمامي بهيئته التي لم أراه عليها من قبل ، لقد تضاعفت لحيتهُ بشكل مبالغ ، وأيضاً شعر رأسه الغير مرتب والذي يخفيه تحت قلنسوة الجاكيت ، مطأطئ رأسهُ وهو يرفع بصره ببطئ ويلقي السلام قائلاً:-

ـ السلام ع.....

وقبل أن يكمل سلامهُ كانت قد إلتقت عيناه بعيني الدامعة ، لم يتحرك ولم ينطق بشئ سوى أنه صُدم ، وأخذ صدرهُ يعلو ويهبط بوضوح ، وعيناه متسعتان على أخرهما تُمطر بالدموع مطر ، أخذ يخطو الخطوة بثقل ، كالمسن الغير قادر على الحركة ، ينقل نظرهُ بيني وبين طفلي بجانبي ، يهز رأسه بالنفى كأنه لا يصدق عيناه ، فقلت لهُ بصوت باكٍ

ـ (إشتقت لك يا عزيزي)

وكأن صوتي كان الإثبات الوحيد له ، ووجدته يتحرك بسرعة ويلقي بنفسه بين أضلعي ، وهو يبكي بنحيب عالي يكاد يكون صراخ ، وهو يردد

ـ ليا.. ليا.. ليا.. هل أنتِ حقيقية , هل أنا في حلم الآن

جعلني ابكي معهُ أكثر ، فحاولت طمأنته وقلت:-

ـ عائلتك بخير يا غيثي, أنت لست في حلماً

مرت ساعات الإلتقاء بين حزن ، وحنين ، وسعادة ، حمل ملاكنا الصغير برفق ، وظل يعانقنا دون أي حديث أو سؤال ، حتي دقت الممرضة باب الغرفة ، ودخلت في هلع ، وهي تقول بصوت قلق

ـ سيدتي ، هناك شئ غريب قد حدث ، والمدير العام يرى أن مغادرتكم اليوم أمان أكثر لكم.

لم يأتي ببالي أي أفكار سوى " اديل ما " ، وأن يكون قد حدث له أي مكروه ، وقلت لها :-

ـ ماذا حدث ؟؟

قالت بلعثمة وفي توتر

ـ لقد ظهر بمنتصف البحر بالتحديد في الجزيرة الملعونة ، تمثال ضخم جداً أكبر من أي مبني قد رأيناه ، على شكل رجل عملاق

وبالشمال من صدرهُ عند قلبهُ بالتقريب مفرغ ، ويوجد تمثال صغير لسيدة تجلس داخله

وهذا غير مُبشر بالخير ، هذه الجزيرة ساكنة تماماً ، ولم يحدث بها أي تغير منذ زمن ، وهذا يدل الآن أنها غير خالية ، ونحن لا نعلم ما معني هذا الحدث ، لذلك أمر المدير بإبلاغ كل المرضي ، ومغادرتهم

ما إن سمعت وصفها لظهور ذلك التمثال ، كنت أشعر بتكرار الحدث معي ، وكأنني قد مررت به من قبل.

حتي شكل التمثال كنت أعرفه دون أن أراه ، ولم أستطيع تذكر الحدث القديم

رأيتُ الفزع علي ملامح غيث ، وهو يقول للممرضة

ـ ماذا تعني بالجزيرة الملعونة ؟؟

: فتعجلت بالمغادرة ، وهي تقول

ـ لم أستطع الشرح كاملاً الآن ، يجب أن أبلغ جميع المرضى

ثم إنصرفت من الغرفة

فتحرك غيث في توتر ، وهو يجمع أدواتي من الغرفة ، قائلاً:-

ـ هيا يا ليا ، سنغادر ذلك المكان الغريب حالاً ، لن أفقدكِ مرة ثانية

حركة غيث السريعة بالغرفة ، وجمعهُ للأشياء جعلتني أتذكر شيئاً ، لقد تذكرت تماماً ماذا يعنيه " أديل ما " ببناء ذلك التمثال ، ولماذا صنع القارب بهذا الحجم الكبير ، وأن كل ما يحدث الآن كان حُلمي

تحديداً باليوم الذي كان يصنع به القارب ، وأستلقيتُ علي كومة أوراق الشجر بجانبه ، وغلبني النوم حينها ، وحلمت بأنه يجمع كل اخشاب الأشجار علي جزيرته ، و يصنع بهم تمثال ضخم يشبههُ ، ويضعني داخله ، كعلامة ورسالة للسلام ، وان يوحي للجميع بما يوجد علي تلك الجزيرة ...

ورأيت نفسي علي مقدمة قارب كبير ، كالذي صنعه تماماً ، ملئ بالأشخاص الذين يريدون رؤية العملاق الحقيقي ، وخلفي أسطول من القوارب الكثيرة يتبعوني ، وتنتهي أكذوبة الشر ، والغموض علي تلك الجزيرة ، وتصبح أجمل الجزر ، وأكثرها زائرين.

لم أعلم من قبل أنه كان يري احلامي معي

!..ولكن هذا يعني أنه يقدم نفسه لعالمي ، ولا يريد الإنعزال

ولكن ما أراه الآن ، أن لا أحد قد استوعب شيئاً من رسالة التمثال المقصود بها ، وربما يتم وضع قرارات للتخلص من الجزيرة بأكملها ، ولأنها كانت فكرتي ، ومن خيالي المحدود ، قررت ألا أتسبب له بمكروه أبدا ، وأجعل الجميع يعني معني تشيد التمثال الآن

خرجت من شرودي علي صوت غيث ، وهو يقول:-

ـ عزيزتي هل تسمعيني!؟

إنتبهت لهُ وهو يكرر حديثهُ ويقول

ـ سنرحل في أول طائرة الآن هيا بنا

فقلتُ له:ـ

ـ لن نرحل

تفاجئ، وتوقف عن الحركة وهو يقول:ـ

ـ ماذا ؟؟

: فاستكملت حديثي قائلة:ـ

ـ لقد حدثتني ذات مرة ، أن ثمة شيئاً ضالٍ برغم سعادتنا معاً ، أليس كذلك ؟؟

: فقال في هدوء:ـ

ـ نعم ، لكن هذا قبل أن أفقدك ، عندما فقدتك أيقنت أنني فقدت الحياة كلها ، وإنني لا اريد سواكِ

ربت علي يديه وقلت:ـ

ـ لكني وجدت ضالتنا

لم يفهم مقصدي لكني اكملت

ـ سأطلب منك شيئاً واحداً فقط ، وساقول لك كل شئ تريد معرفته

هز رأسه بالموافقة فقلت:ـ

ـ فقط أريدك أن تجلب كل أطفال " دار الرعاية " هنا

دُهش من حديثي ، ولم يوافق ابداً علي ذلك حرصاً علي سلامتهم ، إلا عندما قُلت له كل ما اريد فعلهُ ، وحدثتهُ عن كل شئ منذ أول يوم تغيبت به ، حتي الآن

وبعد مرور ساعات من سردي للأحداث ، تمكنت من إقناعه بجلب كل الأطفال ، وبالفعل تكلم مع المسؤولين هناك ، وفي اليوم التالي كانت قد تحركت طائرة خاصة بالأطفال جميعهم إلي هنا

خلال الأيام الثلاثة المنتظرين بهم وصول الأطفال ، لم يخلو حديثي مع غيث .. عن " اديل ما " ، وعن هيباته وقدراته الخاصة

تكاثرت الأقاويل ، والإشاعات عن ظهور التمثال خلال الأيام الماضية ، وأغلب الموجودين علي الجزر قد رحلوا خوفاً مما قد يحدث ، وجاءت قوات أمنية واضعين مدافعهم بكل مكان ، لحين إرسال دفعات من المسلحين والغطاسين لكشف الجزيرة من جديد ، وتحولت الجزر من أماكن سياحية جميلة لمعسكر ملئ بالأسلحة...

لم أعلم كيف إنصاع " اديل ما " لتلك الفكرة الطفولية بأفكاري ، لم أعرف أنه كان محق لرفضه كل اقتراحاتي إلا الآن ، بعدما رأيت المهذلة التي حدثت من مجرد ظهور تمثال.

تم وصول المشرفين بالأطفال تحت ذهول من كل الموجودين ، ومن حسن الحظ أنهم لم يغلقوا إستقبال الضيوف للجزر ، لوجود أشخاص ذو مكانة مرموقة كما عرفت أول مرة.

غادرت المشفى ، وذهبت لهم بالفندق مع غيث ، جعلتهم يستريحون أول ليلة بغرفهم ، وفي اليوم التالي حدثني أحدي العاملين بالفندق ، أنه سيتم إرسال الدفعات الي الجزيرة من اليوم ، وسيتخلصون من الجزيرة نهائياً ، بوضع متفجرات وديناميت للمكان ، قُبضت ، ولم يسعفني الوقت لجمع كل الأطفال ، أو حديثي معهم كما كنت أريد الشرح لهم أولاً حتى لا يخافون

أسرعت إلي غيث ، وأخبرتهُ بجمع الأطفال بنفسه ، ويأتي بهم إلي الشاطئ ، حتي أبحث عن قاربي بالخارج وأتحدث مع المسؤولين.

لم أضيع دقيقة واحدة ، وذهبت للشاطئ حاملة طفلي أبحث بعيني عن قاربي ، وجدتهُ بمكان بعيد قليلاً مكبل أمام صخرة كبيرة بالحديد ، ذهبت ، وحاولت فكهُ لكني وجدته مغلق ب قفل كبير ، أخذت أسأل الرجال المسلحين عن قائدهم حتي وصلت لهُ ، في البداية رفض فك القارب ، والذهاب بهذا العدد من الأطفال تجاه الجزيرة ، واتهمني بالجنون ، ولم ينصاع لحديثي إلا عندما جاء غيث من خلفي ، وقدم له هويتهُ كرائد بالقوات المسلحة ، وقدم مسؤوليته عن تلك القارب وما به ، حينها أمر القائد بفك القارب ، ولكن أرسل من خلفنا عدة قوارب مسلحة لحين تم إيذائنا سيقومون بتفجير المكان

تكرر نفس المشهد ب قيادتي للقارب الاول الذي يحمل عدداً كبيراً من الأطفال حاملة طفلي ، ومن خلفي عدة قوارب يتبعوني ، مثل الحُلم تماماً..

خلال الوقت الذي أبحرنا به ، أخذت أشرح للأطفال ما نحن ذاهبون إليه ، وأنه أسطورة مثل الأساطير الكرتونية لكنه حقيقي ، وأنه مثلنا تماماً ، ولكن بعض الأطفال الصغيرة في السن أخذوا يبكون كأنني أروي لهم قصة مخيفة ، حتي وصلنا إلى شاطئ الجزيرة ، ومن خلفي تقف القوارب المسلحة بمسافة قصيرة

تحركت الي مقدمة القارب ، ومن خلفي غيث ، وبأقوي ما أوتيت من صوت قوي ، أخذت أقول:- :

ـ أديل ما.. أديل ما

لم يظهر شئ ، وعلت همهات القوارب بالخلف أن لا شئ من تلك الخرافات ، وغيث ينظر حوله ، وينظر لي بنظرة تساؤل ، دق قلبي ، وأرتبكتُ لعدم ظهوره ، فتحركتُ بمفردي من القارب ، وخلفي غيث يحاول إيقافي ، خطوت خطوات بسيطة ، وأخذت أردد أسمهُ بصوت عالي ، أعلم أن ظهوره ليست بخطوة هينة عليه ، ويريد تشجيعي له كما كان يدعمني من قبل ، فرفعت طفلي لأعلى ، وأقول بنفس النبرة كي يسمعني : :

ـ لقد رجعت يا أديل ما ، ولن نرحل ابداّ ، هناك أطفال كثيرة تريدك

ثم وجهت حديثي للأطفال وقلت لهم ، من يريد رؤية " أديل ما " فليقول إسمه معي ، وأخذنا نردد ، وصوت الاطفال يتعالي أكثر فأكثر ، ونحن نقول

ـ أديل ما

ـ أديل ما

ـ أديل ما

وأخيراً ظهر من خلف الاشجار ، بهيئتهُ التي لم تبدو مهيبة بالنسبة لي فقط ، يتحرك بخطوات مترددة بطيئة

فصمت جميع الأطفال عندما رأوه ، ومنهم من بدء بالبكاء خوفاً منهُ ، حتى تقدمت تجاههُ ، وخلفي غيث الذي لم يفراقني خطوة ، رافعة جنيني للأعلى له , فانحنى وحملنا معاً وهو يبتسم, وعيناه مثبتة على طفلي وقال :-
-ما إسمه ؟!
فنظرت لغيث بنظرات هو يفهمها جيداً , وقلنا معاً :- " أديل ما "

.....

إنتهت بفضل الله

داخلي عوالم أخرى , أفضل كثيراً من عالمي
أريد أن أساند الجميع, أن أترك شيئاً جميلاً ومختلفاً , وأن يبتسم أحدهم حين يتذكرني

التعريف بالكاتبة

الإسم : شهيرة عبد الحميد
السن : خمسة وعشرون عاما
المحافظة : القاهرة

بدأت مسيرتها الأدبية فيما يخص أدب الروايات منذ أكثر من أربعة أعوام بروايتها الأولى " أديل ما " والتي بين أيديكم الآن , لتتوالى أبداعاتها بالجزء الثاني من الرواية والذي يحمل أسم " آشري ما " ثم عادت بعدها بإحدى أجمل أعمالها رواية " لعنة مصر القديمة "